١٩ طريقة لتُجدِّد بها حياتك الرّوحيّة
انتعاش
بقلم
رون هيوز

ماذا يقولون عن هذا الكتاب؟

"يذكرنا "رون هيوز" بأساسيات السير مع الله بانيًا أفكاره على قصص من الكتاب المقدس مشيرًا إلى عدد كبير من التدريبات الروحية "القديمة" وجاذبًا بعضها الأقل ذيوعًا إلى السطح. رغم أن "أساليبه التسعة عشر" عبارة عن أعمال وسلوكيات إلا أنها تركز أكثر على قلب المؤمن الذي يرغب في شركة عميقة مع إلهه. هذا الكتاب يجلب الفرح لكل من يقرأه ويُعد بمثابة تحدي وامتياز يستحق التجربة"

جيم آلان، قس بـ HCJB Global

"وجدت كتاب "رون" ملهمًا ومشجعًا ومثيرًا وأسلوبه الأدبي سهل الفهم للغاية. إنه كتاب للشخص العادي الذي يحلم بأن يصبح إنسانًا متميزًا بأن يتشبه أكثر بالرب يسوع وأنا أوصي بقرائته. هذا الكتاب لابد أن يوجد في كل بيت وكنيسة ومكتبة"

سو أوجستين كاتبة ومتحدثة تحفيزية لمدة ٢٥ سنة

"أغلبنا بحاجة شديدة إلى هذا الكتاب. يتكلم "رون هيوز" بأسلوب بسيط وعميق عن كيف ننمي علاقتنا مع الله. هذا الكتاب ممتع ومنعش مثل مياه باردة في يوم حار. إذا تعطشت لبلوغ الأعماق مع الله فأنا أهدي إليك هذا الكتاب"

جريج هاريس، رئيس إذاعة الشرق الأقصى

"هذا كتاب متميز وعملي وفريد من نوعه. لو اجتهدت في تطبيق الطرق التسعة عشر لانعاش حياتك الروحية فستحدث فرقًا كبيرًا لأسلوب استمتاعك بالمسيح. هذا الكتاب من أول إلى صفحة، بسرده لقصص كتابية وتطبيقاتها العملية، بإمكانه أن يحدث فرقًا كبيرًا في حياتك. يسرني أن أوصي بقرائته "

د.ديفيد هامفريز، أستاذ بجامعة ماكماستر، كندا

"أسلوب "رون" في تعليم الحقائق الكتابية أسلوب قوي وعملي إذ يحفز ويشجع قراءه باقتباساته وشخصياته الكتابية. تناول قضايا القرن الحادي والعشرين مثل كيف تجد وقتًا تقضيه مع الله في مجتمع تسود عليه كل الوسائل الالكترونية. هذا كتاب لابد أن يقرأه كل من له رغبة شديدة في علاقة قوية مع الرب"

ديلا ليتكمان، كاتبة "النمل" و"صوت في الظلمة"

"حياة تلميذ الرب يسوع ليست بالضرورة حياة القيام بأعمال وبطولات، إنها مسألة تتعلق بالحياة الداخلية، تلك التدريبات الروحية التي تساعد على تطور التغيير الروحي. إنها "الأشياء التي

تحدث تحت السطح"، الأشياء التي لن يراها أو يلاحظها الآخرون إلا الرب يسوع. اقرأ الكتاب بعناية وحرص شديد، فتلك الأسرار الروحية لا تقدر بثمن"

لورين ليبي، الرئيس التنفيذي لهيئة TWR الدولية

"جهز نفسك للقيام برحلة العمر. ستقابل على الطريق تسعة عشر "استراحة" موضوعة في أماكن استراتيجية لتدعوك لأخذ قسط من الراحة في سعيك نحو شركة وثيقة مع الرب وتجربة عميقة في الحياة المسيحية. الوقت الذي ستقضيه في كل استراحة لن يساعدك على اختصار الرحلة فقط بل سيجعلها مغامرة العمر كله"

وليم ج. ماكري، أستاذ بجامعة تيندال

"عندما يصبح الرب يسوع مصدر رجائنا سنجد أن هناك أسلوب جديد للحياة يبدأ لكنه لا يحدث فجأة. إرشادات "رون" العملية جدًا إلى الانتعاش الروحي تساعدنا على مواجهة بعض التحديات التي نقابلها أثناء إتباعنا للرب. بما أن إيقاع الحياة يتزايد سرعة باستمرار لابد أن نجتهد لنجد وقتًا نقضيه في محضر الرب ولننمو في التشبه به. "رون" يرينا أن مصيرنا لابد أن يكون مع الله نفسه. إننا نتجه إليه وحين نراه سنصير مثله، هذا هو رجاؤنا"

هوجو ولمارانز، مدير Arab World Media

المحتويات

إهـداء ٩

شكـر ١١

مقدمـة ١٣

البـدايـة ١٥

١ ابحث عن مكان هادئ لنفسك ٢١

٢ كن صامتًا ٢٩

٣ اعترف بأخطائك ٣٧

٤ فكر وتأمل ٤٥

٥ اخدم الآخر ين ٥٣

٦ الصلاة ٦١

٧ قل لا لنفسك ٦٩

٨ عش ببساطة ٧٥

٩ ضح بنفسك ٨٣

١٠ كن كريمًا ٩١

١١ اخف بعض الأسرار ١٠١
١٢ اكشف نفسك ١٠٩
١٣ تواصل مع الآخرين ١١٧
١٤ تعلم الخضوع ١٢٧
١٥ ادرس كتابك المقدس ١٣٥
١٦ السجود ١٤١
١٧ تقبل الألم ١٤٩
١٨ احتفل بالأشياء الجميلة ١٥٩
١٩ استرح ١٦٧
القصص الكتابية وأين نجدها ١٧٣

إهـــداء

أهدي هذا الكتاب مع مزيد من الامتنان إلى الأعضاء السابقين والحاليين لمجلس إدارة هيئة

FBH

الدولية. لقد قمتم بمساندتي في تحقيق هدفي في مساعدة الناس بجميع أنحاء العالم على التعرف بالرب يسوع المسيح والنمو في الشركة معه.

شكـــر

أود أن أقدم الشكر لهؤلاء الأصدقاء الذين شاركوا

في إخراج هذا الكتاب بطرق متنوعة:

Alison Berry، George Berry، Joanne Easby، Jim Howlett، Deborah Piggott، Greg Reader، Hazel Robinson، Don Ruddle and Janice Vardy.

شكر خاص لزوجتي

Debbie Hughes

لتشجيعها الدائم لي.

مقدمة

الكتابة عن "١٩ طريقة تجدد بها حياتك الروحية" لها جانبان يقدمان تحديًا كبيرًا:

سيظن بعض الناس أن الكاتب يمارسها بأمانة ويحصل على نتائج روحية رائعة فيتطلعون إلى المجهودات الشاقة التي يبذلونها ويصابون بالإحباط.

آخرون سيرون أن الكاتب دجال كبير لا يفعل كل ما ينادي به، فينظرون إليه ويفترضون أن بما أنه يعجز عن القيام بها فليس هناك ضرورة لهم للمحاولة.

لم أقابل أبدًا في حياتي شخصًا راضيًا عن حياته أو حياتها الروحية. كل واحد منا يستطيع أن يتشبه أكثر بصورة المسيح، هذا ما يقوله هذا الكتاب الصغير:

حاول أن تتشبه بالمسيح

لو أنت مثلي تدرك عجزك في هذا الجانب فإنني أقدم هذا الكتاب لك. لقد كتبته لأناس مثلي ومثلك. أناس حاولوا أحيانًا وفشلوا وأحيانًا لم يحاولوا بالمرة.

أشجعك أن تنضم إليّ في هذه الرحلة، رحلة النمو الروحي. كيف تقترب إليها هذا أمر متروك لك لكني أقترح أن تأخذ فكرة واحدة في المرة وتقضي معها كل ما يلزمك من الوقت حتى تصبح جزءًا من حياتك. لو كل ما عملت بعد

انتهائك من القراءة هو اكتساب معلومات عملية عن ١٩ طريقة تجدد بها حياتك الروحية فلقد فشل كل منا. لكن إذا أصبحت ولو بدرجة قليلة أكثر شبهًا بصورة المسيح فسيكون لدى كل منا سبب للاحتفال.

مايو ٢٠١١

ملحوظة:

قم بزيارة هذا الموقع:

www.fbhinternational.com

لتجد معلومات إضافية وإرشادات تساعدك على تطبيق ما تعلمت وعلى التواصل مع رفقاء آخرين يشاركونك نفس الرحلة.

البـدايـة

الله يريد لكل منا أن يكون له حياة ناجحة وهادفة حتى لو كنا لا نشبه من بعيد أو قريب "موسى" أو "دبورة" أو "بولس" أو "فيبي". بسبب نتائج الخطية العالمية نواجه صعوبات لا حصر لها طوال الطريق تلقيها علينا الأرواح الشريرة والنظم العالمية وميولنا الشخصية الطائشة المعادية لله التي تعوق حصولنا على الحياة التي يريدها الله لنا.

سؤال يدعو للتفكير: ما أفضل تشبيه للحياة المسيحية؟ السير أم الرقص؟

في فيلبي ٣ يقدم "بولس" ملخصًا لأهدافه الروحية:

> "بل إني أحسب كل شيء أيضًا خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي الذي من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكي أربح المسيح وأوجد فيه وليس لي بري الذي من الناموس بل الذي بإيمان المسيح البر الذي من الله بالإيمان. لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهًا بموته. لعلي أبلغ إلى قيامة الأموات"

(فيلبي ٣: ٨-١١)

لاحظ أن:

معرفة المسيح كانت أهم من مجرد أولى أولويات "بولس"، فقد كانت الأولوية الوحيدة بالنسبة له.

جعلها حقيقة أو موقفًا فيلسوفيًا (تحمل خسارة ضخمة كما أنه حسب كل الأشياء نفاية).

حالة "الوجود في المسيح" هي حياة الإيمان وليست حياة المجهودات البشرية.

التزم "بولس" بمعرفة المسيح حتى وصل إلى مرحلة إطلاق قوة الله لتعمل بحرية في حياته.

كان لديه الاستعداد لتحمل الآلام لأجل المسيح حتى يتشبه به في موته ويشترك في القيامة.

نتشبه بصورة المسيح حين نتبعه. كلما قضينا وقتًا أطول في محضره كلما تشبهنا أكثر بصورته.

لكنها ليست دائمًا عملية واعية رغم وجود جوانب واعية بها. أقوى تغيير يحدث في روحنا حين يعمل روح الله بدون مشاركة نشطة من جانبنا.

ظللت أعزف البيانو لسنوات طويلة، ورغم قدراتي المتواضعة به إلا أنني اكتشفت أن هناك بعض القطع الموسيقية لا يمكن عزفها على الفور لأن متطلباتها التقنية تمنع المرء من إتقان عزفها بمجرد التمرن على عزف القطعة نفسها. الموسيقي الطموح لابد أن يقضي وقتًا طويلاً في التدرب على السلالم المختلفة وأنواع عدة من القطع الموسيقية بالإضافة إلى الدراسة المتخصصة. كل هذا التمرن على التقنيات يؤهل المرء لعزف القطعة الموسيقية الصعبة في النهاية.

اتضع المسيح وتعمد رغم عدم حاجته للتوبة أو لتحسين علاقته بالآب فقد

كان مثالاً لنا في أشياء كثيرة سوف أطرحها في هذا الكتاب. قام التلاميذ بعد ذلك ثم الكنيسة الأولى بالاقتداء به وبتطبيق تعاليمه فيما يخص هذه الأنشطة التي ساعدت على تقوية شركتهم بالآب. ونحن أيضًا عندما نمارس نفس هذه العادات ستتقوى علاقتنا بالله.

في البداية لابد أن نسأل أنفسنا إذا كنا نريد فعلاً أن نتغير بتلك الطريقة. البعض قد يتحمس لينضم إلينا، وآخرون، أبدوا عدم اهتمام حين سمعوا لأول مرة عن الفكرة، قد يتركون الباب مواربًا كي يقنعهم أحد ما بالمشاركة في تغيرهم. وأخيرًا نستطيع للأسف أن نشير إلى فئة أخيرة تتكون من هؤلاء المعاندين والمقاومين لأي تغيير روحي لأن التكلفة الشخصية تبدو باهظة للغاية.

ممارسة هذه العادات لإضافة عمق جديد لحياتك الروحية قد تشوش عليها. فهي لن تؤثر فقط على طريقة استخدامك للمصادر المتوفرة لديك (كالوقت والطاقة والموهبة والمال وهكذا...) لكن ستؤثر على شخصيتك أيضًا إذ ستؤثر تدريجيًا على رد فعلك في تصرفاتك وكلامك مع الناس ومواقف الحياة المختلفة.

في نفس الوقت لن تسرق هذه العادات الجديدة شخصيتك منك تمامًا رغم أنها ستزيل أساليب تعبيرها الخاطئة الطبيعية، والعادية، والمتأصلة. أثناء بحثنا عن التغيير الإيجابي من الممكن أن السعي وراء هذه الممارسات يجعلنا تلاميذ للفريسيين بدلاً من أن نكون تلاميذ للرب يسوع. لابد أن نكون حذرين من أن نصبح تقليديين في التزامنا بممارستها.

أي بستاني سيخبرك أن إعداد التربة ليس كالإثمار، فهذه العادات لن تنتج ثمارًا في الحال بل ستهييء حياتك لهذه النتيجة الرائعة. روح الله فقط هو من يستطيع أن ينتج ثمرًا.

لأن الرب يسوع سماوي فإن تشديده على هذه العادات كان مختلفًا عنا (فمثلاً، الرب يسوع لم يعترف بخطية). ظروف الحياة المختلفة ستؤثر أيضًا على ممارستنا لهذه الأمور، على سبيل المثال، إيجاد الوقت والمكان المناسبين للعمل عليها سيكون تحديًا ضخمًا للبعض، وبالنسبة لآخرين متطلبات عائلة صغيرة أو دراسة أكاديمية معقدة أو وظيفة شاقة قد تقود إلى حافة الانهيار.

لنتأمل السؤال المكتوب صفحة ١٣: ما أفضل تشبيه للحياة المسيحية: السير أم الرقص؟ ستدفعنا ميولنا الشخصية لاختيار اتجاه أو آخر. الكتاب المقدس نفسه يستخدم الصور العسكرية حين يتعلق الأمر بالحياة المسيحية؛ لذا هناك مكان للسير. لكن عندما أقرأ تاريخ معاملات الله مع شعبه لا أرى كثيرًا الخط المستقيم المرتبط بسير الجنود بخطوات ثابتة نحو الميدان (الجنود لم تسر إلى المعارك منذ سنوات).

ما نراه في قصص الكتاب المقدس يبدو أكثر مثل الرقص، خطوة أو اثنتان في اتجاه ثم لفة وخطوة أو اثنتان في اتجاه آخر ثم لفة وهكذا. أؤمن بأن الله من خلال معاملاته مع من سبقونا يتوق لشركة قوية معنا وأكثر ما يريد هو أن نتحرك خطوة بخطوة معه، لنجد الفرح وسط ظروف الحياة المتغيرة دائمًا، وأن ننمو في علاقتنا معه ومع الآخرين الذين يتمتعون بنفس العلاقة. أؤمن أيضًا بأن هذه دعوة لتعلم الخطوات ومشاهدة الآخرين والتعلم منهم وإتقان فن اتباع المسيح.

الطرق التسعة عشرة لتجديد حياتك الروحية المشار إليها هنا لن تساعدك فقط على أن تكون مؤثرًا وأنت تعيش حياتك متمتعًا بالشركة مع الله، بل ستعدك وتهيئك لتستمتع بهذه العلاقة بطرق لم تختبرها من قبل.

أعط لنفسك الوقت الكافي للعمل على هذه الأمور. ستعاني من بعضها، وسيبدو لك البعض الآخر في منتهى السهولة كالتنفس مثلاً ما أن تلتقط الفكرة

المقصودة. قد تحتاج للتدرب على تلك العادات واحدة بواحدة وقد تعتاد على البعض الآخر بشكل رائع وعندئذ تدرك كيف ستنتهي العملية كلها.

وأنت تتمرن على هذه الطرق التسعة عشرة لتجدد بها حياتك الروحية تذكر أن تضع الغرض منها على بالك دائمًا.

الهدف هو لا أن تشعر بالإرهاق بل

بالانتعاش!

١ ابحث عن مكان هادئ لنفسك

قصة للبداية

أغلبنا يستنزف طاقة هائلة في الاستعراض أمام المحيطين بنا وندرك تمامًا كيف نريد أن يرانا الآخرون. لكني أعتقد أن الأمر سيدهشنا لو عرفنا كيف يرانا الله. لقد أفزعني الأمر جدًا.

أنا ابن المزارع "يوآش". اسمي "جدعون".

تجد الناس عادة أعلى التلال طوال وقت درس الحنطة، لذا كنت متأكدًا أني سأكون بأمان من أعين المتطفلين خلال فترة اختبائي في المعصرة. عملية الدرس في مكان محدود كالمعصرة غير مجدية للأسف لكن بإمكاني على الأقل أن أخبيء أي كمية حبوب أجمعها لعشيرتي. من كان يدرس على قمم التلال كان سهل الاستيلاء على مجهوده من قِبل المديانيين الغزاة.

لم أخبر أحدًا بمكاني ولا حتى أقرب الناس لي. كل يوم قبل أن يبزغ الفجر أحمل عدة حزم على قدر استطاعتي وأذهب بها إلى المعصرة وظللت أقوم بهذا العمل وحدي لأيام عديدة. لم أنزعج لكوني وحيدًا بل وجدت وقتًا للتفكير خاصة في كلمات ذلك النبي الذي جاء مؤخرًا وذكر الشعب بعصيانه وتمرده. وأنا أعيد كلماته في ذهني ساورني إحساس قوي أن الله سيخلصنا.

ذات يوم وبينما كنت مشغولاً بدرس القمح بالمدْرَس جاءني إحساس بأن أحدًا يراقبني. لقد اخترت هذا المكان لأن ما من أحد يأتي عادة إلى المعصرة في هذا الوقت من السنة لأن العنب لا يزال أخضر وصلبًا وحرصت على الإبقاء على مهمتي سرًا.

تُرى مَنْ تتبعني إلى هنا؟

نظرت حولي ورأيت رجلاً جالسًا أسفل شجرة البلوط العجوز التي تغطي المعصرة بظلالها. لكن هل هو إنسان فعلاً؟ به شيء غريب. قال لي أن الله يراني جبار بأس رغم أني أرى نفسي أحقر فرد في أضعف عشيرة بأقل سبط شأنًا وهو سبط "منسى". يا لها من صدمة! من هذا الإنسان ليتكلم بالنيابة عن الله، خاصة ليبلغ رسالة منافية للمنطق بكل وضوح؟

أعددت له لحمًا وفطيرًا كما أفعل عادة مع أي ضيف غريب، وعندما هممت بتقديم الطعام له طلب مني أن أضع كل شيء على الصخرة. أطعت وتراجعت للوراء، وبدلاً من أن يأكل مس اللحم والفطير بطرف عصاه فصعدت نار فجأة التهمتهما ثم اختفت. وعندما رفعت عيني كان الغريب اختفى هو الآخر. لم يكن إنسانًا عاديًا بل ملاك، ملاك الرب. لهذا السبب وجدني وأنا وحدي مختبئًا في المكان الأقل احتمالاً أن يجدني فيه أحد.

هكذا دعاني الله من المهمة الفردية التي كنت أقوم بها في الخفاء إلى مهمة فردية أخرى وهي أن أكون صوته لشعبه في ذلك الوقت. أخبرني أني يجب أن أطرد أعداءنا وأقود الشعب ليرجع إليه. فهدمت مذبح البعل وضربت بالبوق وأرسلت رسلاً للأسباط المجاورة. وطلبت من الله مرتين أن يثبت لي صدق رسالة الملاك وحصلت بالفعل على ذلك التأكيد.

نزلنا الليلة عند عين "حرود" مقابل الوادي الذي تنزل عنده جيوش المديانيين. ليت الله يخلصنا من هذا الوباء!

ما الذي نتكلم عنه؟

إيجاد مكان هادىء نختلي فيه بأنفسنا قد يعد تحديًا كبيرًا نواجهه هذه الأيام. فمعظمنا يعيش مواقف تتطلب أن نتشارك فيها بالمكان، وغالبًا هذا المكان المشترك يعج بوسائل إلهاء كثيرة وهذا بدوره يزيد من حاجتنا للاختلاء بالنفس.

الاختلاء بالنفس هو أن تكون بمفردك دون أن تشعر بالوحدة.

الاختلاء أو الانفراد بالنفس هو النظير الإيجابي لكلمة "الوحدة" التي يكون فيها للانعزال الاجتماعي آثار سلبية جسديًا ومعنويًا وروحيًا.

الاختلاء أو الانفراد بالنفس أمر تختاره بإرادتك بينما الوحدة تنتج عن شعورك بأنك وحيد رغم إرادتك. ولأغراض خاصة بنا سوف نعتبر أن الاختلاء تدريب تختاره طواعية وهو يحررك من أي التزامات ومؤثرات ناتجة عن التواصل الاجتماعي.

الأساس الكتابي

الآيات التالية توضح أن الرب يسوع كان يختلي بنفسه وحرض تلاميذه على العمل بالمثل. صحيح أن عددًا قليلاً من المؤمنين مدعوون لحياة الانعزال الاجتماعي التي يفرضها نظام الرهبنة بالمفهوم العام لكننا بحاجة لوقت نبتعد فيه عن الناس لنجدد وننعش طاقتنا الروحية.

" فلما سمع يسوع انصرف من هناك في سفينة إلى موضع خلاء منفردًا. فسمع الجموع وتبعوه مشاة من المدن"

(متى ١٤: ١٣)

"وبعدما صرف الجموع صعد إلى الجبل منفردًا ليصلّي.
ولما صار المساء كان هناك وحده"

(متى ١٤: ٢٣)

"فقال لهم تعالوا أنتم منفردين إلى موضع خلاء واستريحوا
قليلاً. لأن القادمين والذاهبين كانوا كثيرين.
ولم تتيسر لهم فرصة للأكل"

(مرقس ٦: ٣١)

استكشاف الانفراد بالنفس

الاختلاء أو الانفراد بالنفس يميل إلى استخراج إجابة واضحة منا بطريقة أو بأخرى. يتوق البعض إلى وقت يختلون فيه بأنفسهم بينما يبذل آخرون كل ما بوسعهم لتجنب الأوقات التي يكونون فيها وحدهم. وإذا لم يجدوا أحدًا يشاركهم مكانهم فنجدهم يشغلون الراديو أو التليفزيون لإزالة الإحساس بالوحدة. صحيح أن الاختلاء يتطلب منا أن نكون وحدنا إلا أني لا أعني أن نشعر بالوحدة. الاختلاء بالنفس هو أن تكون بمفردك دون أن تشعر بالوحدة.

الاختلاء بالنفس له عدة مزايا منها أنه يساعدنا على الثبات في طريق المسيح ويحررنا من الميل (اللا إرادي غالبًا) من أن نتأثر بالآخرين، حتى حين نحاول ألا ندع ذلك يحدث نجده يحدث فعلاً. وجود أحد على مرمى السمع منا كثيرًا ما يعوقنا عن الصلاة بصوت عال مثلاً. الانفراد يحررنا أيضًا من الحاجة المرضية للآخرين.

الاختلاء بالنفس يساعدنا على:
السير على خطوات المسيح.
تحرير أنفسنا من عادة السماح للآخرين بالتأثير علينا.

بعضنا لم يتعرف على نفسه قط. سمحنا

للآخرين بأن يحددوا هويتنا لدرجة أننا لم نعد نعرف من نحن إلا إذا كان بالقرب منا أحد ليخبرنا. يتجاوب البعض سلبيًا مع الاختلاء بالنفس لأنهم يربطونه بالوحدة ومعاناتها. في واقع الأمر، وقت الاختلاء يحببنا في أن نكون منفردين دون أن نشعر بالوحدة ويعلمنا أن نشعر بالأمان حين نكون وحدنا مع الله وأن نقيم علاقة صداقة حقيقية معه، كما سيوفر لنا فرصًا لتعلم معنى أن "ننتظر الرب".

الاختلاء بالنفس يساعدنا على:
تحرير أنفسنا من الحاجة المرضية للآخرين.
يحببنا في أن نكون منفردين دون الشعور بالوحدة.
نتعلم الشعور بالأمان حين نكون وحدنا مع اللّه.

انتظار الرب يتضمن فكرتين ترتبطان بكلمة "انتظار". سنتعلم أن ننتظر كمن ينتظر الأتوبيس مثلاً، أي أن نكون في حالة الاستعداد للوجود في محضره. كما سنتعلم أيضًا أن ننتظر كمن يخدم أي الانغماس في الخدمة. شيء طيب أن تخدم الله حتى ولو المظاهر الخارجية لتلك الخدمة تتمثل في مساعدة الآخرين. أغلب الناس يرون في وقت الاختلاء ضرورة لا مفر منها لاكتشاف حقيقة وجود الله. هناك دور رائع للشركة في حياتنا لكن هناك أيضًا مكان لعلاقة هادئة مع الله لا يتدخل فيها الآخرون.

إليك بعض الاقتراحات العملية لتبدأ التمرن على فرص الاختلاء بالنفس. مثل كل الطرق التسعة عشرة الأخرى لتجديد حياتك الروحية لابد أن يكون لديك النية الصادقة لممارستها.

ابحث عن مكان تستطيع فيه أن تختلي بنفسك. لا يجب أن يكون مكانًا خاليًا من الناس فقط بل من كل وسيلة تحتمل أن تقاطعك لذا لا لوسائل الاتصال. كبداية، حدد وقتًا للذهاب إلى ذلك المكان. لا أطلب منك أن تكون تقليديًا لكن لو كنت مثلي يجب أن تكون حازمًا مع نفسك. الثقافة السائدة في مجتمعنا تهيأنا

لله "مشغولية" الدائمة، ونحن نقبلها، ونتوقعها، ونحترمها. لذا ستسير ضد التيار لو مارست ذلك التدريب.

الاختلاء بالنفس يساعدنا على أن:
نقيم علاقة صداقة مع الله.
نتعلم معنى أن ننتظر الرب.
نعاين محضر الله.

وأنت تنمي حس الخلوة حاول أن تأخذ ثلاثة أو أربعة أيام تنفرد فيها بنفسك. هناك أماكن عديدة للاختلاء تقدم لك هذه الفرصة أو تستطيع مثلاً أن تنصب خيمة في مزرعة أحد أصدقائك. لو فكرة الاقتراب الشديد من الطبيعة لا تروق لك وعندك الإمكانيات المناسبة قم بحجز غرفة في فندق. بالنسبة للبعض قد تعوقه الالتزامات العائلية أو المهنية عن الابتعاد ولو لفترة قصيرة. لا يهم. كن خلاقًا. ابدأ بعدة ساعات وحدك في حديقة أو مكتبة. هذه الاختيارات لا تكلف شيئًا لكن توفر بيئة هادئة تحقق غرضك.

من الضروري أن يكون لديك القدرة في التحكم في أجهزة الإعلام الدخيلة بإغلاقها لفترات محددة على قدر استطاعتك وذلك فيما بين الأوقات التي خططت أن تختلي فيها. بعض الوظائف تتطلب من أصحابها أن يكونوا "تحت الطلب" دائمًا، ميلنا لأن نكون متاحين ٢٤ ساعة يوميًا يولده إحساسنا بالأهمية.

اقتراح أخير، حاول استقطاع فترات أثناء اليوم تستطيع فيها أن تحظى بوقت هادىء خاص بك لتعيد التفكير في حياتك الروحية. لو وجدت معاناة في إيجاد معنى روحي لحياتك اعتبر أن رد فعلك تجاه الظروف المختلفة قد جعلتك منغلقًا عاطفيًا. وهذا من شأنه أن يترك آثارًا سلبية على حياتنا الروحية. على الرغم أن النواحي العاطفية والروحية لا تتداخلان بصورة كاملة إلا أن البرود العاطفي مع الآخرين، حتى لو كان مع فرد واحد، ممكن أن يؤثر سلبًا على علاقتنا بالله.

"يوحنا" شرح هذا بكل وضوح عندما قال:

"إن قال أحد أني أحب الله وأبغض أخاه فهو كاذب. لأن من
لا يحب أخاه الذي أبصره كيف يقدر أن يحب الله
الذي لم يبصره"

(١يوحنا ٤: ٢٠).

ما هو صحيح بالمعنى المطلق هنا صحيح أيضًا في ظروف مشابهة. كما أبتعد عن أولئك الذين قال لي الله بأن أحبهم أبتعد أيضًا عن الله.

علامات على عدم حصولك على وقت خلوة كاف

منذ بضع سنوات نشر موقع الكتروني لمركز طبي سويدي هذه القائمة التي تضم عشرة أعراض تشير إلى حاجة النفس للحصول على بعض الوقت للاختلاء.

هيجان

شعور بالغضب نحو أقرب الناس إليك

شعور بأن هناك من يتطفل عليك بشكل مفرط

عدم الرغبة في عمل الأشياء التي تقوم بها عادة

شعور بالإرهاق

عصبية زائدة

ارتباك

ارتجاف

نقص الطاقة

ضيق في التنفس

بعض هذه الأعراض، خاصة إذا تجمعت، ممكن بسهولة أن يتم تشخيصها خطأ بحالة ذعر أو تصبح فعلاً حالة ذعر.

لا أجد نصيحة لمعالجة هذه الأعراض أفضل من كلمات الرب يسوع التي

سبق وعرضتها. تذكرون أن التلاميذ كانوا يذهبون ويجيئون بشكل شديد السرعة لدرجة أنه لم يكن لديهم وقت للراحة أو حتى لمجرد الجلوس والاستمتاع بوجبة طعام واحدة. لذا قال لهم الرب يسوع وسط جو الخدمة المحموم هذا "تعالوا أنتم منفردين إلى موضع خلاء واستريحوا قليلاً" (مرقس ٦: ٣١). الحال لا يتحسن بعلاج أفضل من هذا، لا حال التلاميذ الاثنى عشر ولا حالنا نحن أيضًا.

حالات السقوط المحتملة

أي شيء طيب كأوقات الخلوة قد يكون له – في نفس الوقت – مخاطر من الضروري تجنبها. في بعض الحالات المتطرفة والمبالغ فيها قد تؤدي إلى الانسحاب من خدمة الآخرين أو المشاركة فيها. لو لديك ميل قوي للانطواء لابد أن تحترس من استخدام الخلوة كوسيلة هروب مشروعة. بغض النظر عن شخصياتنا وأنواعها المختلفة فالخلوة قد تؤدي بنا إلى التركيز على أنفسنا بشكل مفرط.

إذا نجحت مرة في قضاء عدة ساعات مع اللّه وحدك فاتبع التعليمات المكتوبة فوق زجاجة الشامبو: كرر.

كلمة تشجيع

واحدة من الأشياء القديمة الطيبة عن الأيام الخوالي والتي تمل الأجيال الحديثة من سماعها هي أن أجدادنا كانوا أقرب منا إلى جذورهم الزراعية. وهذا يدفع الناس في أحيان كثيرة إلى العيش حياة منفصلة بعض الشيء، خاصة في الشتاء. كان هناك مستوى معين من الوحدة من الصعب تجنبه ويعتبر أمرًا عاديًا. الحال ليس هكذا الآن. فمعظمنا يتوجب عليه أن يبذل محاولات جادة للتدرب على الخلوة حتى في مستواها الأولي. إنه أمر شاق لكن من الممكن تحقيقه. ليس فقط من الممكن تحقيقه بل ربما يكون من العوامل المساعدة لك لتدخل في شركة أعمق مع الرب.

٢ كن صامتًا

قصة للبداية

الخوف واليأس والشفقة على الذات والاكتئاب... لم تكن أبدًا أوصاف الشخص الذي يسير مع الله لكني أعرفها كلها معرفة جيدة. لقد دخلت البلاط الملكي وأنا غير مدعو وتحدثت مباشرة مع الملك ثم أدرت ظهري وخرجت مرفوع الرأس. جريت كثيرًا خوفًا على حياتي حتى أصبت بإعياء شديد وتمنيت الموت. أنا "إيليا" التشبي.

كان الدق على بابي له رنين دكتاتوري ربما لأن الرجل الواقف بالخارج يحمل رسالة من الملكة "إيزابيل" التي وقعت على حكم بإعدامي مفترض أن يُنفذ خلال ٢٤ ساعة. وبعد ذلك رحل فجأة وكذلك أنا.

هربت من إسرائيل وذهبت إلى اليهودية ثم سرت جنوبًا نحو الصحراء. كان ذهني يركض مع قدميّ مكررًا كل الأحداث التي جرت خلال السنوات القليلة الماضية. لكن الصور الذهنية للأيام الماضية استمرت تقاطع حبل أفكاري نظرًا للحالة المضطربة التي كنت أمر بها. ظللت أرى الغضب في عيون الملك ونظرة الاحتقار المرسومة على وجه الملكة وقوة فك الرسول الذي جاء يخبرني بالأمر الصادر بإعدامي.

وظلت الصور تتسارع في ذهني مرارًا وتكرارًا لدرجة أني كنت غير منتبه للمكان أو للصحراء التي فررت إليها. لم أتوقف حتى لأشرب قطرة ماء فمن فرط استعجالي لم أجلب معي أي مؤونة. وبدأت أتهاوى من الضعف وكاد عقلي يسقط مني. كنت رجل الله الوحيد الباقي على قيد الحياة. عندما تتعقبني الملكة وتنجح في قتلي صوت الله سيصمت لكني الآن لا أستطيع السكوت. الأفكار المشوشة تتوالى على ذهني والأصوات المشتتة تكاد تجذبني إلى حافة الانهيار واليأس. عندما لم أستطع السير لأبعد من ذلك سقطت من التعب تحت شجرة وتوسلت لله أن يأخذ حياتي مني بعدما استعدت أحداث الأيام الماضية للمرة الأخيرة.

ملاك الرب أيقظني مرتين وأعطاني طعامًا لآكل. ظننته حلمًا لكن لابد أنه كان حقيقة لأني اكتسبت قوة عظيمة كافية لأسير حتى جبل الله "حوريب" وهناك دخلت مغارة وبِت فيها.

بدأ ذهني يسكن ويهدأ في هذا المكان الهادىء بعيدًا عن "آخاب" والملكة الشريرة "إيزابل". واستطعت شيئًا فشيئًا تهدئة الأصوات الصاخبة في هذا الهدوء المحيط بي. أخيرًا حصلت على السلام. لا أحد أتكلم إليه. لا أحد أستمع إليه. لا صوت على الإطلاق في مخبأي السري.

بينما كنت راقدًا – لمدة طويلة – في ذلك الصمت المطبق بدأت أدرك تدريجيًا أن هناك إثارة ما في روحي. وقدمت لي كلمة الرب تحديًا جديدًا، كنت مستعدًا له وأجبت الإجابة التي أعددتها. تكلمت بصوت عال وكان لكلماتي صدى متضخم في المغارة التي كنت مختبئًا بها: "قد غرت غيرة للرب إله الجنود لأن بني اسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف فبقيت أنا وحدي وهم يطلبون نفسي ليأخذوها"[1]. سادت فترة صمت طويلة. يا له من شعور ممتع أن تتمكن من إسكات الله. ثم جاءني الأمر: "اخرج وقف على الجبل".

[1] ١ملوك ١٩: ١٠

تلمست طريقي وسط الظلمة وخرجت إلى نور الشمس عند فم المغارة. فجأة هبت ريح عاتية. الله بنفسه كان يسير فوق الجبال، وتساقطت الصخور واندفعت بسرعة بجانبي. ووقفت بمدخل المغارة لأحتمي به وكنت أرتجف من مظاهر القوة التي كانت لا تبعد عني إلا بمقدار ذراع أو أكثر قليلاً.

خررت على ركبتيّ وتوقفت الرياح لكن الأرض كانت لا زالت تهتز بشدة لدرجة أني لم أستطع السجود. انطرحت على الأرض – عند مدخل المغارة – التي كانت في حالة هياج واضطراب كالتي كنت أمر بها.

عندما هدأت الأرض وتوقفت عن الاهتزاز اشتعل الجبل كله بالنيران. رفعت رأسي لأرى ما يحدث حولي. لففت وجهي بالرداء لأحتمي من النار المتوهجة. ماذا كان يفعل الله وسط استعراض القوة هذا؟ ماذا كان يريد أن يقول لي؟

ثم انتهت النار فجأة كما بدأت. توقعت أن أرى كل الجبل محترقًا لكن الحشائش والزهور البرية لم تكن حتى مشتعلة. الأشجار لا زالت خضراء. ساد هدوء عظيم. سكون مطبق ملأ المكان الذي صار أهدأ حتى من المغارة. وجاءني صوت من هذا الفضاء الخالي. لم يكن مجرد صوت داخلي يتكلم إليّ كما فعل عدة مرات في الماضي. هذا كان صوت الله في شكل موجات صوتية يهز طبلة أذني. الله كان يتكلم إليّ.

ما الذي نتكلم عنه؟

التزام الهدوء يدعونا إلى البحث عن مكان صامت نسبيًا. الصمت هو ببساطة غياب أي صوت أو ضوضاء. "الصوت" كلمة ذات دلالة لأنها تحمل معلومات بداخلها، الكلام والموسيقى أفضل أمثلة على ذلك. لكن حتى الصوت ممكن أن يفقد معناه إذا لم نفهم أو نقبل تفسير الإشارات. "الضوضاء" لا معنى لها لأنها لا تحمل أي معلومة، على سبيل المثال ضوضاء المرور أو زنة الثلاجة. ورغم ذلك فهذه الضوضاء قد تنقل معلومة عن أداء مصدرها. لأسباب خاصة بنا سوف نهتم

بالهدوء الداخلي أو بمعنى آخر منع أي وكل رسالة مشوشة حتى نسمع من الله. في البداية من السهل تحقيق هذا السكون الداخلي في الأماكن الهادئة. لكن بالممارسة ستتمكن من العثور عليه في أي مكان حتى وسط الضوضاء والأصوات المألوفة في الحياة اليومية.

الأساس الكتابي

الهدوء الداخلي (يصاحبه سكون خارجي) كان دائمًا جزءًا من النمو الروحي لشعب الله. لتوضيح تلك الحقيقة هيا نلق نظرة على أربعة آيات من العهد القديم:

"إذا هو سكّن فمن يشغب وإذا حجب وجهه فمن يراه سواء كان على أمة أو على إنسان"

(أيوب ٣٤: ٢٩)

"لقمة يابسة ومعها سلامة خير من بيت ملآن ذبائح مع خصام"

(أمثال ١٧: ١)

"حفنة راحة خير من حفنتي تعب وقبض الريح"

(جامعة ٤: ٦)

"لأنه هكذا قال السيد الرب قدوس اسرائيل. بالرجوع والسكون تخلصون. بالهدوء والطمأنينة تكون قوتكم"

(إشعياء ٣٠: ١٥)

عندما أختلي بنفسي أجد الرقة التي أستطيع بها أن أحب إخوتي محبة حقيقية. كلما انفردت بنفسي كلما أجد إني أحبهم أكثر، الخلوة والسكون يعلماني أن أحب إخوتي كما هم لا لِما يقولون[٢].

[٢] Merton، Thomas—www.quotationspage.com/subjects/ silence/31.html

يحرضنا الرسول "يعقوب" في رسالته قائلاً:

"إذًا يا إخوتي الأحباء ليكن كل إنسان مسرعًا في الاستماع
مبطئًا في التكلم مبطئًا في الغضب"

(يعقوب ١: ١٩)

هذه النصيحة تسلط الضوء على ميل موجود بداخل معظمنا وهو الإسراع في الكلام عن الاستماع. إذا أدخلنا "صوتنا" من بين مصادر الأصوات والضوضاء التي نود أن نتجنبها سنتعلم فوائد نصيحة "يعقوب" كما أن تنفيذها سيساعدنا على سماع ما يحاول الآخرون أن يخبرونا به، والأهم من ذلك سنتمكن من سماع الله.

استكشاف السكون

في البداية عندما تسعى بحثًا عن الهدوء سوف تكتشف أن هناك ضوضاء كثيرة من حولك يمكنك أن تتعرف عليها بدون وعي. كل من يحاول الحصول على الهدوء لابد أن يتعامل مع تلك المسألة أو بمعنى آخر تحديد الأصوات المحيطة به ثم تجاهلها. ليس بوسعك عمل الكثير بشأنها لكن من المدهش أنها لن تعود تزعجك كثيرًا فور أن تتعرف عليها وتختار أن تتجاهلها. عندما تكاد أن تنتهي من هذا التدريب ستجد دخيلاً آخر – أطلق عليه "ضجة ذهنية" – يغزو رأسك. في الهدوء ستتعلم أن تحدد بل وتسكن كل أصواتك الداخلية، أي الأفكار التي تغزو اللحظة التي يتوقف فيها تركيزك على شيء آخر.

"تهدف الضوضاء إلى زيادة مستويات التوتر التي تؤدي بدورها إلى الإحباط والغضب والعلاقات الشخصية المتوترة. لابد أن نبدأ بتكوين صداقة مع الهدوء والصمت"[٣]

[٣] Moore, Mike—www.naturalhealthweb.com/articles/moore4.html

معظمنا يجد نفسه مجبرًا على الكلام. فعندما نكون بصحبة آخرين نخضع لرغبتهم في التعبير عن أنفسهم وأحيانًا يكون ذلك أمرًا نافعًا ومشجعًا، لكن في أحيان أخرى نجد أن كلامهم محيرًا ومحبطًا بل ومدمرًا. الحفاظ على السكون والهدوء يلزمنا أن نبتعد عن الآخرين من وقت لآخر بهدف إسكات الضوضاء الداخلية والخارجية. لابد أنك رأيت أن هذه الطرق التسعة عشرة لإنعاش حياتك الروحية لا يمكنك أن تمارسها، بصورة فعالة، منفردًا لأنها تتوافق مع بعضها البعض بل بعضها مبني على الآخر.

انضم إليّ في أحد تدريباتي، فأنا أكتب هذا في صباح شتوي باكر جدًا. كل شيء هاديء بالخارج لذا كل ما أسمعه يأتي من داخل المنزل. أول شيء لاحظته واخترت أن أتجاهله هو الزنة التي بآذاني (فأنا أعاني من طنين الآذان).

وسائل الإعلام والاتصال تعد هذه الأيام من أكبر بدائل المحادثة والحوار، ويجد البعض صعوبة بالغة في التحكم في مصادر الضجة هذه. كثيرًا ما تقدم وسائل الإعلام رسالة روحية سلبية. فالهدف من ورائها هو جذب جمهورًا عريضًا بمنحه ما يريد، وما يريده هو رسالة تزيد من ميوله ورغباته الطبيعية نحو الخطية والتعبير عن الذات.

الهدوء يحررنا من رغبات العالم ومطالبه، الصرخات المتواصلة من المعلنين محاولة خلق شعور داخلنا بعدم الاكتفاء تكاد تجبرنا على الاستسلام لها، بالإضافة إلى أصوات الخبراء المذاعة عبر التليفزيون والراديو تخبرنا كيف نتناول طعامًا صحيًا، ونربي أولادنا تربية ناجحة، ونزيد من قدراتنا.... إلخ. كل هذا من شأنه أن يلقي على كاهلنا شعورًا متضخمًا من الالتزام إذا لم نأخذ فترات راحة بين الحين والآخر ونجدد فيها منظورنا الروحي.

سمعت مؤخرًا عن امرأة انحشرت بذرة فيشار في حنجرتها مما أفقدها النطق لأربعة شهور. عندما استعادت قدرتها على الكلام فيما بعد أخبرت من حولها أنها تعلمت خلال تلك الفترة أن تستمع كما لم تفعل من قبل.

حين يتكلم الآخرون نبذل أغلب طاقتنا الذهنية في صياغة ما نريد أن نقول كإجابة. عندما سُلبت منها القدرة على تجهيز إجابة سريعة استطاعت تلك المرأة أن تركز على الرسالة الواردة إليها. وهذا – في نفس الوقت بالطبع– قلل من تأثيرها، لأنك بصفة عامة إذا لم تشارك بشيء فلن يكون لك تأثير على ما حولك. أثناء أي حوار لابد أن يكون باستطاعتنا الكلام لنتولى دفة الحديث وإذا التزمنا الصمت نتعلم أن نسلم القيادة لشخص آخر. قد يصبح هذا أمرًا إيجابيًا لأنه يجبرنا على طرح خططنا الأنانية جانبًا لأجل خاطر الآخرين ويؤهلنا للاستماع لله.

الصمت يساعدنا على:

تعلم الاستماع (وخاصة لله).

تعلم تمييز (وإسكات) الأصوات التي بداخلنا.

تحرير أنفسنا من التشتت الذي تتسبب فيه الأصوات الأخرى (الإعلام والأفراد).

تحرير أنفسنا من العالم وطلباته.

تعلم تسليم دفة القيادة.

اختبار سلام الله.

الأصوات الأخرى تشمل:

- الهواء الدافيء المنبعث من مروحة المدفأة.
- مروحة الكمبيوتر الخاص بي.
- حكة الفأرة على المكتب وأنا أرجعها للوراء.
- خبطة الفنجان على الطبق كلما أعدته إليه.
- صوت مضغ وبلع الخبز المحمص.
- صوت ضربات قلبي.
- طقطقة مفاتيح الكمبيوتر.
- مواء قط جائع بالغرفة جواري.

يا له من شيء عجيب! كم من أصوات متوارية في انتظار من يكتشفها!

حالات السقوط المحتملة

أشياء كثيرة نشارك فيها لأجل منفعتنا الروحية ممكن أن يُساء استخدامها بشكل أو بآخر. لكن طالما تحتفظ بعلاقات سليمة مع الناس فمن الصعب أن تعاني من أي نتائج سلبية لو أضفت أوقات هادئة لحياتك الروتينية اليومية.

"الصمت الحقيقي هو سكون العقل، هو للروح
مثل النوم للجسد: غذاء وانتعاش"[٤]

كلمة تشجيع

قبل ترك مكاني الهادىء لن يفوتني أن أذكر أننا كثيرًا ما نختبر سلام الله في الهدوء والسكون. لو أكثرنا من تعبيرنا عن استيائنا وغضبنا وأوجاعنا وأحزاننا بالصلاة فإننا بذلك نكتم رسالة الله الموجهة لنا. إيجاد مكان هادىء وإسكات أصواتنا الداخلية يتيحان لنا اختبار سلام الله وتعزياته التي نفوتها علينا بدون توفر هذين الشرطين. يشتهر مزمور ٤٦ بقوله

"كفوا واعلموا أني أنا الله"

(مزمور ٤٦: ١٠)

إحدى ترجمات كلمة "كفوا" هي "اسكتوا"، بمعنى آخر:

"اسكتوا واعلموا أني أنا الله".

[٤] Penn, William—www.quotationspage.com/subjects/ silence/31.html

٣ اعترف بأخطائك

قصة للبداية

يحمل البعض منا فوق كاهله هويات مركبة تجعل من الصعب عليه أن يعرف حقيقة نفسه. فأنا كثيرًا ما أسأل نفسي "هل أنا محارب أم شاعر أم رجل حسب قلب الله أم ثائر مزقته الخطية أم ملك أم عبد لشهواتي؟" أنا كل هذا. أنا "داود" ملك إسرائيل، يحبني الناس لقدراتي المتعددة ويحتقروننني لضعفاتي لكن الله يحبني.

كتبت بالأمس قصيدة شعرية. وألّفت أشعارًا كثيرة من قبل. فهذا ما أفعله عندما أشعر بالحيرة والاضطراب. في الخارج أقوم بمهامي كملك: أصدر قرارات وأحكامًا مختلفة، أقيم علاقات دبلوماسية مع البلدان الأخرى وأرسم خطط الحروب لكن الندم يعتصرني من الداخل. كنت أحمقًا وجبانًا وخائنًا لشخص أحبني وقدم لي خدمة جليلة.

يد الله ثقلت عليّ مؤخرًا. جزء مني يريد أن يذهب إلى الهيكل، ربما الدم المسفوك هناك يستطيع أن يطهرني من ذنبي. لكن منظر الحيوان البريء وهو يصارع أهوال الموت يتضاءل أمام عينيّ وأنا أتخيل "أوريا" النبيل وجسده يتمزق

بسيف رجل عموني. يمتدح الناس قدرتي على التخيل حين يقرأون أشعاري لكن الأمر بالنسبة لي مثل اللعنة لأني أرى أشياءً واضحة في ذهني كأنها تحدث أمامي. يا رب طهر أفكاري! امح هذه الصور!

يا الله، خلصني من ذنب أنانيتي المخجلة، لقد تمزق قلب خادمي الأمين حرفيًا وتمزق قلب زوجته الرقيقة عاطفيًا. كنت أجد معاناة شديدة في مجرد النظر إليها في تلك الأيام وأنا قلبي مغروس به آلاف الخناجر ذات الحدين بيد أمهر سياف.

الصور الذهنية تطاردني كالطاعون، بعضها من صنعي أنا والبعض الآخر ذكريات لا أستطيع قمعها. لماذا لا يمكنني نسيان إصبع النبي العجوز وهو يشير إليّ، إلى ملكه؟ ما من أحد يجرؤ أن يشير بإصبعه إلى ملك. أرسلوه إلى الجلاد لإظهاره مثل هذا الاحتقار! لكن المسألة ليست مجرد إصبع "ناثان"، بل إصبع الله وأنا لا أستطيع تحمل هذا الأمر. قلبي يتمزق!

أعترف بخطيتي ثانية لك يا الله. لقد اعترفت لـ "ناثان" الذي كشفت له كل شيء وأعلنت ندمي وتوبتي لـ "بثشبع" وبكيت عند قبر "أوريا" في أحلامي. لا يمكن أن تتكرر هذه الأمور مرة أخرى.

عندما يتطهر قلبي ويستند بالكامل عليك
حينئذ فقط تجد مسرتك في صلاتي.

اغسلني يا الله فأبيض أكثر من الثلج. أعد أصوات الفرح والابتهاج إلى حياتي. امح خطيتي حتى تظل سقطاتي وغفرانك يشهدان إلى الأبد عن محبتك لابن الإنسان.

ما الذي نتكلم عنه؟

الاعتراف هو إقرار وفضح وكشف الخطية. هناك ثلاثة وجوه للاعتراف

تجذب انتباهنا:

الاعتراف إلى الله للحصول على غفرانه.

الاعتراف إلى شخص أخطأنا إليه لنتصالح معه.

الاعتراف إلى شخص آخر عن ضعف شخصي أو خطية مكبوتة لطلب الصلاة والدعم الروحي والمساءلة.

سوف نقترب من هذه الجوانب الثلاثة إلى حد ما. أعتقد أن أغلبنا اختبر أول نقطتين اختبارًا شخصيًا لكن الاعتراف بصراعنا مع خطية متكررة يعد مجال اعتراف غريبًا عن معظم الناس لأنه ليس جزءًا مألوفًا في عادات وتقاليد كثيرة. ومع ذلك أرى أنه جزءًا هامًا لأن الفشل المتكرر يؤدي إلى إصابتنا باليأس والاستسلام إلى الفشل الروحي في أفضل صوره أو إلى هزيمة نكراء.

فكرة شخصية

نشأت طفلاً صغيرًا في مجتمع أيرلندي كاثوليكي زراعي. عشت على هامش هذا المجتمع وهكذا تشكلت هويتي إلى درجة ما. عندما كنت أسير مع أبناء الجيران للحاق بأتوبيس المدرسة كنا مجرد مجموعة أطفال لأسر مزارعة وكنا كلنا نشترك في هذا الجانب من الحياة. لكن عندما ننزل من الأتوبيس تبدأ تظهر بعض الفروق. كانوا يذهبون إلى مدرسة وأنا أذهب إلى أخرى. كانوا يذهبون إلى القداس كل يوم وأنا لا. كانوا لا يأكلون اللحوم كل جمعة من كل أسبوع لكني كنت آكلها. كانوا يذهبون للاعتراف للقس في ليالي السبوت أما أنا فلا. أعتقد أن مفهومي السلبي الخاص عن الاعتراف بدأ من وقتها. كانت قفزة قصيرة من المعرفة بأني لا يجب أن أعترف بخطاياي لأي وسيط بشري طلبًا للغفران إلى الاعتقاد بأني لا يجب أبدًا أن أعترف بخطاياي إلى شخص آخر.

الأساس الكتابي

أكثر جزء في الكتاب المقدس يتناول موضوع الاعتراف بخطايانا لبعضنا البعض هو ما كتبه الرسول "يعقوب":

"اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات وصلوا بعضكم لأجل
بعض لكي تشفوا. طلبة البار تقتدر كثيرًا في فعلها"

(يعقوب ٥: ١٦)

توحي لنا هذه الآية بأن الخطية قد تؤدي إلى أمراض جسدية وبأن الاعتراف بتلك الخطية والدعم بالصلاة يأتي بالشفاء والحرية.

تناول "بولس" القضية من زاوية أخرى في رسالته لأهل غلاطية:

"إن انسبق إنسان فأُخذ في زلة ما فأصلحوا أنتم الروحانيين
مثل هذا بروح الوداعة ناظرًا إلى نفسك لئلا تجرب أنت أيضًا.
احملوا بعضكم أثقال بعض وهكذا تمموا ناموس المسيح"

(غلاطية ٦: ١ و٢)

يبين "بولس" هنا أن المؤمنين يتحملون مسئولية رد ودعم من انكشفت خطيته وانفضح أمره.

استكشاف الاعتراف

الاعتراف بخطية ارتكبناها أمر غير مريح بالمرة لكن هناك أجزاء كثيرة في كلمة الله توضح أهميته. يقول "سليمان":

الاعتراف أمر مزعج لأنه يجعلنا نشعر بالضعف ويسمح للآخرين بسبر غور أعماقنا. يود أكثرنا الاحتفاظ بالجزء المظلم منه بعيدًا عن أعين الناس.

من يكتم خطاياه لا ينجح ومن يقر بها ويتركها يُرحم"

(أمثال ٢٨: ١٣)

لاحظ أن الاعتراف والتوبة يتماشيان معًا. متى اعترفنا بخطيتنا وتركناها نُرحم لكن لو كتمناها فإننا نادرًا ما يتولد فينا الاستعداد بالتوبة عنها. يبدو أن الأمر يتطلب درجة من درجات الإعلان حتى نسعى إلى التوبة، وقد يكون ذلك "الإعلان" في أدنى درجاته كمعرفة شخص واحد بأمرنا لكني تعلمت من تجاربي الشخصية أن معرفة ذلك الشخص الواحد بضعفي كفيلة بدفعي لترك خطيتي.

وأنتهز هذه الفرصة الممتازة لتوضيح أنني عندما أتكلم عن الاعتراف هنا فأنا لا أقصد الاعتراف لله طلبًا لغفرانه. ما يُشغل بالي هو الاعتراف بخطيتنا لشخص آخر. وأعتقد أن ذلك الشخص لابد أن يكون مؤمنًا عاقلاً وكتومًا وناضجًا. الإعلان عن أموري الشخصية قد يؤدي إلى أضرار كثيرة لكن ممكن من الناحية الأخرى أن نظل مقيدين في الخطية لو لم نكشف عنها ولو بدرجة محدودة.

هناك فوائد عدة للاعتراف، فهو يساعدنا مثلاً على إنماء روح التواضع فينا. لا يوجد أمر من شأنه تخفيف حدة الشعور بالغرور كالاعتراف بخطية ارتكبناها لشخص آخر. وهذا يذكرنا بالحقيقة المرة وهي أننا خطاة ونستند كليًا على نعمة الله ليكون لدينا أي رجاء في المستقبل.

الاعتراف يساعدنا أيضًا على إنماء روح

الاعتراف يساعدنا على:

نمو روح التواضع فينا.

نمو روح الشفافية.

تحقيق حياة مثالية.

يشجع الآخرين على العيش بأمانة.

مساندة الصداقة الحقيقية (إذ نتواصل مع أشخاص حقيقيين لا حالات نفسية).

اختبار الحرية الروحية (الخطايا السرية عادة ما تكون مدمرة)

اختبار محبة الله.

الشفافية. أجمل شيء أن تشعر بالحرية فلا خطايا مستترة تتوارى في الظلام لتجلب لك العار والخزي. لو ظن أحد أنه كشف بعض الخطايا السرية في حياتك فمن الجميل أن يتقدم شخص آخر ويقول: "كنت على علم بذلك الأمر ونعمل سويًا على هزيمته".

الشفافية الشخصية لا تسمح لنا فقط بعيش حياة هادفة بل تشجع الآخرين على نفس الأمر. حين يدعي المؤمنون الكمال فهذا يجعل بقيتنا يشعرون باليأس والفشل التام وبضرورة إخفاء خطيتنا لنلاقي القبول من الآخرين. لكن عندما يعلم الآخرون بضعفاتنا فسيبحثون عن المساعدة لمعالجة ضعفاتهم هم أيضًا.

من فضلك افهم أن لا شيء يُخفى عن الله وأغلب الأشياء لا يمكن إخفاؤها عن أقرب الناس إلينا. افحص قلبك واكتشف الخطية الراقدة به حتى يمكنك الاعتراف بها. ادعُ شخصًا قريبًا منك ليشير لك إلى الضعفات التي لا تراها حتى تستطيع أن تعالجها. اطلب من الله أن يُشرق بنوره على حياتك لتكتشف أي شيء يهين اسمه وتزيله من الطريق. بعد أن تتطهر وتنال الغفران حاول الالتزام بالعيش بهذه الطريقة.

"ليست الأمور الإجرامية الخطيرة هي التي يصعب الاعتراف بها بل أيضًا الأمور الصغيرة والتافهة"[١]

اعترف بخطيتك بمجرد أن تعرف بها. وتعهد بأن تطلق اسم "خطية" على ما هو خطية إذ لدينا أسماء كثيرة مهذبة لخطايا معينة، على سبيل المثال "نضلل" أو "نخدع" بدلاً من "نكذب"، أو "نقترض" بدلاً من "نسرق"، أو "نقيم علاقة غرامية" بدلاً من "نزني". استخدم الألفاظ الغليظة للخطية وسوف يذكرك ذلك بأن تتجنبها وتبتعد عنها. لا تدعي أن لك حق اختيار ارتكاب الخطية. الاعتراف بالنسبة للمؤمن لا يقتصر على طلب المغفرة لخطايا الماضي فقط بل يتضمن

١ Cassels, Louis—www.realtime.net/~wdoud/topics/confession.html

أيضًا العزم على تجنب الخطية في المستقبل. وأخيرًا خذ الاعتراف بصورة جدية، الاعتراف المزيف أو السطحي بدون توبة لا فائدة منه.

"في الاعتراف... نفتح قلوبنا لننال الشفاء والمصالحة
ورد النفس ونعمة من يحبنا على الرغم من حالتنا"[٢]

حالات السقوط المحتملة

هناك عدة جوانب خطرة تحيط بالاعتراف. فقد يمارسه البعض ليشد الانتباه إليه. لا يجب أن يكون هدفنا من الاعتراف هو إبهار الآخرين. فإننا نعترف لنختبر الغفران وننشد المعونة والمساندة. وقد يستخدم البعض الاعتراف لإضفاء الشرعية على ولعه بذاته، مع إننا لا نعترف للاستحواذ بل لاختبار الحرية. وقد يجد بعضنا في الاعتراف أداة مناسبة للتخفيف من حدة اللوم مثل "لقد فعلتها ثانية. إنه (أو إنها) عمل ذلك الأمر (أو قال هذه الأشياء) وهذا كان رد فعلي فحسب". لا يجب أن نعترف بهدف تبرير اللوم والتأنيب بل لنتحمل مسئولية خطيتنا ونتولى علاجها.

كلمة تشجيع

هاك زوجان يتعاملان مع قضية الاعتراف برؤية مختلفة: "جولز وأوليفيا في الخمسينيات من عمرهما ورغم أن أولادهما لم يعودوا صغارًا إلا أنهما لا يزالا يحبان الاحتفال بأيام السبوت فيأخذان حمامًا دافئًا مساء كل جمعة قبل وجبة السبت. فهذه كانت طقوسهما في التطهير وجزءًا من عهود الزواج الخاصة بهما والاستعداد لاستقبال السبت. بالإضافة إلى أنهما كانا يعدانه وقتًا خاصًا بهما وباعترافات كل منهما للآخر.

[2] Rousseau, Jean Jacques (1712-1778)—www.realtime.net/~wdoud/topics/confession.html

يضع كل منهما يده على قلب الآخر ويسأل عما إذا كان هناك شيء يود أن يقوله أو يعترف به، شيء مُعلق لم ينطق به وقد يعوق استمتاعه بإجازة سعيدة. في بعض الليالي لا يوجد الكثير ليُقال وفي بعض الليالي الأخرى تتطاير كلمات بصوت عال كانت قد دُفنت سرًا. من يستطيع تخيل ما يفضي به عاشقان بعضهما لبعض سعيًا وراء إجازة مليئة بالإخلاص والنقاء؟ الأمانة التي عاشت لمدة ٣٠ سنة تلخصت في هذه الكلمات: كائنان، دافئان ومتقاربان، يغتسلان في حب"[٣].

[٣] "Sabbath: Finding Rest, Renewal, and Delight in our Busy Lives" Muller, Wayne in N.Y., Bantam Books, 1999, p.198

٤ فكر وتأمل

قصة للبداية

كونك صغيرًا في السن وخادمًا يعد تحديًا كبيرًا في أي زمن، لكن كونك صغيرًا وخادمًا وبعيدًا عن وطنك ووحيدًا فهذا تحدٍ يفوق الاحتمال. بإمكاني فهم كل هذا لأني أجد نفسي في ذات الموقف: فأنا "تيموثاوس"، الابن الروحي لـ "بولس".

أطل أحيانًا من نافذتي على المدينة المليئة بالحركة والضوضاء وأتعجب كيف لفتى يافع من "لسترة" ينتهي به الحال في أكبر مدينة بآسيا الصغرى. يقول البعض أن أفسس هي ثاني أهم مدينة بعد روما من حيث الحجم وقوة النفوذ. وها أنا أحاول أن أكون مؤثرًا في مدينة اشتهرت بعبادة "أرطاميس" أو "ديانا" كما يطلق عليها أهل روما.

لقد كان الأمر بالنسبة لي يمثل تحديًا كبيرًا منذ البداية. فمعظم المؤمنين هنا أكبر مني سنًا لذا كثيرًا ما أتساءل هل يعتقدون أنني مناسب لهذا العمل أم لا. السنوات التي قضيتها في سفر وترحال مع "بولس" وبقية المجموعة التبشيرية أعطتني بعض المصداقية لكن في الحقيقة لا أجد أن سني الصغيرة ميزة رائعة.

أشكر الله أن رغم سفريات "بولس" وتنقلاته الكثيرة إلا أنه يحرص على كتابة

رسائل وإرسالها لي وللكنيسة هنا. فهو يعرفني معرفة جيدة ويستطيع أن يتصور الصراعات التي أمر بها بالإضافة إلى أنه يقدم لي النصائح الثمينة ويذكرني بألا أتيح لحداثة سني أن تمثل لي مشكلة لأن هذا يثير قلقي في بعض الأحيان.

أحاول في واقع الأمر أن أتعلم أن أضع التأمل مكان القلق. هذا كان اقتراح "بولس" الذي وضع أمامي عدة أشياء لأفكر وأتأمل فيها: أهمية قراءة كلمة الله وخدمتي في تشجيع المؤمنين الآخرين وتقدير تعليم الرسل ومواهبي الروحية.

في البداية وجدت صعوبة شديدة في التركيز على هذه الأشياء لأن عقلي كان دومًا يعود للمشاكل التي أواجهها. فأنا بصراحة أعاني من مشكلة الحنين للوطن لدرجة أنها تسبب لي أمراضًا في معدتي كما أن الأساليب التنافسية لتناول الحياة الروحية هنا تنهك قواي وتستنزفني. بعض الخدام يقدمون رسالة أقرب إلى الناموس منها إلى النعمة.

لذا كان التأمل حبل النجاة بالنسبة لي. عندما أقضي الوقت في التفكير في الأشياء الإيجابية التي اقترحها "بولس" أجد روح الله ينعشني. أتذكر الأيام الماضية حين سافرنا معًا أنا و"بولس" و"سيلا" و"لوقا" وآخرون. لقد سررت جدًا حين وافقوا على اصطحابي معهم. الحياة بالقرب من رجال أتقياء أمثال هؤلاء الرجال والاستماع لما يريهم الله وهم يلهجون في كلمته كان أفضل تعليم يتمناه شاب مثلي.

والآن أنا وحدي هنا والآخرون ينظرون إليّ. دائمًا يذكرني "بولس" بأن أكون قدوة حسنة. أعتقد أني إذا أخذته مثالاً لي فلن أضلل الآخرين. وشيئًا فشيئًا بدأت كلمة الله تبث الثقة فيّ. كتب "بولس" للكنائس بعض الرسائل التي يعتبرها الرسل الآخرون بمثابة توراة. يا له من أمر مثير للاهتمام!

يعتقد بعض الناس أن "بولس" جريء أو مغرور بعض الشيء لكني أعرف الرجل. إنه ذكر اسمي كأني اشتركت معه في كتابة بعض الرسائل التي كتبها أثناء

سفرنا معًا، كما قضينا أوقاتًا خاصة معًا وأحب أن أتذكرها وأفكر فيها خاصة حين يغامرني شعور بالحيرة والارتباك.

ما الذي نتكلم عنه؟

دعوني أقول في البداية أني حين أشجع المؤمنين على التأمل والتفكير فأنا لا أعني به شكلاً مسيحيًا خاصًا مثل أشكال التأمل المنتشرة في الشرق. التأمل الكتابي شيء مختلف تمامًا. من المؤسف أن يختلط الأمر على البعض حول هذه الكلمة وطريقة استعمال الأديان المختلفة لها. فكرت في حلول بديلة ولم أجد أفضل من الكلمة التي تحمل هذا المفهوم والتي نجدها في الكتاب المقدس. لذا لا تدعوا هذا الأمر يغيب عن ذهنكم، ودعونا نفكر في معنى التأمل الكتابي وكيف نمارسه وبعض الفوائد التي تنتج عنه.

لا أعرف من هو صاحب القول الشهير: "إن كنت تعرف كيف تقلق فأنت تعرف بالفعل كيف تتأمل". رغم عدم دقة هذه المقولة إلا أنها تساعدنا على شرح معنى التأمل لمن لم يجربه من قبل. التأمل مثل القلق يحتاج إلى تدريب أو تكرار شيء ما في عقلك والنظر إليه من زوايا مختلفة ومحاولة فهم كل النتائج الممكنة وما يترتب عليها. الفرق هو أن القلق شيء سلبي ويرتبط بظروفنا المادية أما التأمل فهو شيء إيجابي ويركز على وضعنا الروحي.

الأساس الكتابي

التأمل شيء قديم كالكتاب المقدس. قال الله هذه الكلمات لـ "يشوع" عند بداية خدمته:

> "لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك. بل تلهج فيه نهارًا وليلاً
> لكي تتحفظ للعمل حسب كل ما هو مكتوب فيه. لأنك
> حينئذ تصلح طريقك وحينئذ تفلح"

(يشوع ١: ٨)

يحتوي سفر المزامير على عدة إشارات إلى التأمل. إذا أردت أن تعرف عن تأملات صاحب المزمور فاقرأ الآيات التالية:

"كما من شحم ودسم تشبع نفسي وبشفتي الابتهاج يسبحك
فمي. إذا ذكرتك على فراشي. في السهد ألهج بك"

(مزمور ٦٣: ٥، ٦)

"لكن في ناموس الرب مسرته وفي ناموسه يلهج نهارًا وليلاً"

(مزمور ١: ٢)

"تقدمت عيناي الهزع لكي ألهج بأقوالك"

(مزمور ١١٩: ١٤٨)

"تذكرت أيام القدم. لهجت بكل أعمالك.
بصنائع يديك أتأمل"

(مزمور ١٤٣: ٥)

وفي العهد الجديد كتب "بولس" لـ "تيموثاوس":

"اهتم بهذا. كن فيه لكي يكون تقدمك ظاهرًا في كل شيء"

(١تيموثاوس ٤: ١٥)

استكشاف معنى التأمل

لقي التأمل صدى غير محبوب لدى المؤمنين في الستينيات عندما اجتاحت الصوفية الشرقية Eastern Mysticism بأشكالها المختلفة شمال أمريكا وكان بعضها

يقوم على أساس ديني والبعض الآخر لا. كان ذلك بمثابة تحول في مجرى الأحداث لأن بعض المؤمنين الأتقياء كانوا يمارسون التأمل لقرون للنمو في حياتهم الروحية. كي أفصل ما أتكلم عنه هنا عن أنواع التأمل الأخرى سأخبركم بأن ما أقصده هو الاجترار العمدي والواعي والروحي للتفاصيل الكتابية.

للتأمل قيمة رائعة لعدة أسباب. فهو يتيح لنا أن نعمق فهمنا لله ونحن نفكر في شخصه وما عمله لأجلنا وهذا يؤدي بالتالي إلى ازدياد تقديرنا لله. فهمنا الناضج لطبيعة الله وتقديرنا له ينعش ويعزي ويشجع روحنا. وبإمكاننا الاستفادة من ذلك خاصة ونحن نعيش في عالم معادٍ لله. أكثر شيء يثير القلق اليوم هو انزلاق المؤمنين بسهولة نحو حياة علمانية طوال الأسبوع عدا أيام الأحاد.

التأمل يساعدنا على:
تعميق فهمنا وتقديرنا للّه.
إنعاش روحنا.
الاستفادة من الوقت.

لو عدت قليلاً للوراء لقراءة المزامير التي ذكرناها في فقرة "الأساس الكتابي" ستلاحظ عدة مواضيع يلهج فيها المؤمن. الله نفسه على رأس هذه القائمة. لو احتجت مساعدة للبدء عد بذاكرتك إلى تدريبات "اعقد مقارنة بين" التي كانت عليك من ضمن الواجبات المدرسية.

موضوع آخر جدير بالتأمل والدراسة ونجده في المزامير هو "ناموس الرب" أو كل الكتاب المقدس، إذا أردنا التوسع، فهذا مورد لا ينضب من الموضوعات المشجعة. خذ آية أو جملة أو حتى كلمة واحدة (هناك كلمات رائعة مثل "متبررين" أو "مفديين" أو "شركة") وفكر فيها من كل الزوايا الممكنة سواء المتعلقة بالله، أو إخوتك المؤمنين (هنا أو في الكنيسة المضطهدة)، أو الخطاة، أو الملائكة أو الشياطين وهكذا. صارع مع الفكرة داخل ذهنك.

مواعيد الله تضم مجالاً آخر غنيًا بموضوعات للعقلية التي تحب الدراسة والتأمل. يكفي أن تفكر في عطايا الله لنا وبركاته التي يغمرنا بها في هذا العالم

والآتي أيضًا. لا تدعني أبدأ في سردها فلن أنتهي منها أبدًا! كما أن هناك كتبًا لا تحصى كُتبت لجذب انتباهك لو أردت المساعدة.

اقتراح أخير يصلح ليكون موضوع تأملات كثيرة هو "أعمال يد الله". وأفضل طريقة لعمل ذلك هو الاستلقاء على ظهرك والتحديق في سماء مليئة بالنجوم أو في أوراق شجر تتخللها أشعة الشمس المشرقة. على أية حال لا يهم أين تكون، فقط حاول الاستمتاع بعجائب خليقة الله التي لا يمكن حصرها.

نجد "بولس" يوسع قائمة الأشياء التي تستحق التفكير والتأمل في رسالة الفرح التي كتبها.

> "أخيرًا أيها الإخوة كل ما هو حق، كل ما هو جليل، كل ما هو عادل، كل ما هو طاهر، كل ما هو مُسر، كل ما صيته حسن، إن كانت فضيلة وإن كان مدح ففي هذه افتكروا"
>
> (فيلبي ٤: ٨)

حالات السقوط المحتملة

هناك جانب سلبي واحد لابد من وضعه في الاعتبار وهو احتمال أن حالة التأمل التي وصفتها هنا تختلط مع الطرق النفسية الروحية المستخدمة للرجوع بالنفس إلى الوعي بالواقع من حولها. هدفنا هو ألا تفقد اتصالك بالواقع بل أن تتواصل معه.

لو أدركت هذا الاحتمال فسيقل خطر من أن ينتهي بك الأمر إلى حيث لا نريد أن تذهب. بإمكاني القول من خلال تجربتي الشخصية بأن حالة السكون الطويلة وعدم التركيز في شيء كثيرًا ما تقود إلى النعاس. لذا من الضروري أن تملأ ذهنك، لا أن تفرغه (كما تُعلمنا أشكال التأمل الأخرى) فتحفظ آية أو أيتين من الكتاب المقدس وتظل تعيدها وتفكر فيها أو تختار مثلاً جانبًا من شخصية الله

وتفكر في أهميته. لو اخترت موضوعًا مجيدًا للتفكير والتأمل فالنتائج ستكون إيجابية، لا شك في ذلك.

نصيحة أخيرة مني لك: ابدأ وقت تأملاتك بصلاة لله بأن يقود أفكارك بروحه القدوس. فهذا لن يحفظ فكرك من التشتت فقط بل سيفتح ذهنك لتلقي النور الذي سيجلبه لينير لك موضوع تأملك.

كلمة مشجعة

لا تُحبَط من أولئك الذين سيحاولون منعك من ممارسة هذا النشاط الكتابي بحجة استبعاد أي فشل محتمل. كن حكيمًا بكل الطرق الممكنة ولا تخف من التواصل مع الله بكل الموارد التي وفرها لك. تعلَّم معنى أن تحبه من كل فكرك كما تقول الوصية العظمى.

٥ اخدم الآخرين

قصة للبداية

ماذا يمكن أن يُفرح الخادم أكثر من العمل الإضافي؟ أنا على وشك بدء أكبر مغامرة في حياتي حتى الآن. يا لها من مسئولية جسيمة! يا له من شرف عظيم! أنا "فيبي" خادمة الكنيسة التي في كنخريا.

مر الرسول "بولس" من هنا منذ أسبوعين وهو في طريقه من كورنثوس إلى أورشليم حاملاً هو ورفقاؤه تبرعاتنا لمساعدة إخوتنا وأخواتنا بأورشليم. كانت تبدو على جميعهم علامات التوتر. ظننت أنه بسبب الأموال التي كانت معهم لكن لم يكن هذا إلا جزءًا من المشكلة.

كتب "بولس" و"ترتيوس" رسالة إلى كنيسة رومية أثناء وجودهما في كورنثوس. أتخيل "ترتيوس" العجوز المسكين وهو يحاول أن يكتب ويلاحق طوفان الكلمات الخارجة من فم الرسول الذي كثيرًا ما تبدو أفكاره معقدة عندما تسمعها لأول وهلة. لم يكن على "ترتيوس" سماعها وفهمها فقط بل كتابتها أيضًا وبأقصى سرعة، لكنهما انتهيا من الرسالة وهما يستعدان للذهاب إلى أورشليم. ولأسباب أمنية أرادا البقاء معًا وفضلا أن يحمل الرسالة إلى رومية شخص آخر.

في يوم الرب بعد انتهاء اجتماع التعليم والسجود طلبني "بولس" ليكلمني

في موضوع خاص لعدة دقائق. شكرني على ما أقدمه من خدمات للكنيسة هنا في كنخريا، فمنذ وفاة زوجي صار عندي متسع من الوقت ولم أفكر في شيء أعمله أفضل من قضائه مع بعض الأرامل والمقعدين كجزء من شركتنا المسيحية.

لا يبدو أن أحدًا لديه الوقت الكافي لهؤلاء الناس الذين يصارعون لمجرد الخروج من بيوتهم لتأدية أبسط المهام. لذا أجد نفسي أؤدي المشاوير بدلاً عنهم وأوصل رسائلهم وأذهب إلى السوق وأقوم بأشياء أخرى كثيرة يجدون صعوبة في القيام بها. رغم أني بلغت الحادية والخمسين إلا أني مازلت أتمتع بصحة جيدة على عكس بقية الأرامل المتقدمات في السن. كما إنني أحاول أن أشجعهن على المستوى الروحي أيضًا بالإضافة إلى المساعدة الجسدية التي أقدمها لهن.

بسبب كل هذا، سمع شيوخ الكنيسة عن خدمتي وعُرفت بـ "خادمة الكنيسة". رغم شعوري بعدم القيام بإنجازات كبيرة إلا أن الإخوة هنا رأوا ضرورة أني أكون معروفة بهذه الطريقة لأنهم كلفوني بمسئولية أخرى هي توزيع المساعدات المالية على أصدقائي المحتاجين مما يفرج كربتهم ويدخل السرور إلى قلبي في نفس الوقت.

ها إني أسهبت في حديثي وشتت نفسي. كنت أكلمكم عن "بولس" الذي شكرني على خدمتي هنا ثم فاجأني بأنه تحدث إلى الشيوخ واتفقوا معًا على ضرورة أن آخذ استراحة قصيرة من أنشطتي المتعددة.

اقترح "بولس" أن أحمل الرسالة إلى روما وأوصلها للكنيسة هناك. إنها وثيقة في غاية الأهمية لأن بها بعض أهم العقائد المسيحية ألتي أعطاها الله لـ "بولس". وفكروا في من يستطيع القيام بتلك المهمة ووقع اختيارهم عليّ. صرح "بولس" أن ذلك يعود لسببين: نجاحي في اثبات أمانتي وإخلاصي بالإضافة إلى أنه لن يخطر على بال أحد، خاصة من أعداء الإنجيل، أن أرملة مثلي تؤتمن على القيام بتلك المهمة.

لذلك ها أنا على وشك الانتهاء من ترتيباتي. زوجة ابني لديها طفل واحد لذلك تبرعت بزيارة أصدقائي المحتاجين للمساعدة والتشجيع. لكن ابنتي ستأتي معي حفاظًا على المظاهر. لو سافرت لوحدي سيشك الجميع في أمري لكن ماذا عن أرملة وابنتها تذهبان إلى رومية لزيارة عائلة زوجها؟ ما من أحد سيلاحظ هذا!

شكرني "بولس" بكل رقة ولطف وأضاف هو و"ترتيوس" بعض السلامات الشخصية على الرسالة ووضعا مقدمة صغيرة عني مطالبين المؤمنين في رومية بتقديم كل مساعدة لي بقدر الإمكان. أشعر بالتوتر بسبب هذه الرحلة، فأنا لم أذهب إلى رومية إلا مرة واحدة وكان ذلك منذ زمن بعيد. صلوا من أجلي عندما تتذكروني لأني أشعر بثقل المسئولية الملقاة على كاهلي.

ما الذي نتكلم عنه؟

الخدمة هي العمل الذي يساعد أو يفيد شخصًا آخر على حساب من يقوم بهذا العمل على الأقل بدنيًا هذا إن لم يستهلك موارد أخرى. وجدير بالملاحظة أن الكلمة اليونانية التي كثيرًا ما تترجم "خادم" doulos أفضل ترجمة لها هي "عبد". سمعت ذات مرة "جون ماك آرثر" يقول في برنامج إذاعي أن خجل المترجمين هو الذي يدفعهم للتقليل من وطأة كلمة "عبد" في معظم الترجمات الإنجليزية.

الأساس الكتابي

يكفينا فقط أن نتأمل في كلمات الرب يسوع:

"أنتم تعلمون أن رؤساء الأمم يسودونهم والعظماء يتسلطون عليهم. فلا يكون هكذا فيكم. بل من أراد أن يكون فيكم

عظيمًا فليكن لكم خادمًا. ومن أراد أن يكون فيكم أولاً
فليكن لكم عبدًا. كما أن ابن الإنسان لم يأت ليُخدم بل
ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين"

(متى ٢٠: ٢٥- ٢٨)

قرأت موادًا أدبية عديدة عن القيادة منذ عام ١٩٩٠ ووجدتهم يقتبسون في أحيان كثيرة في مقالات وكتب علمانية ومسيحية على السواء قول الرب يسوع هذا (أو على الأقل جزءًا منه) ليتعلم منه القادة المعاصرون. إننا حين نخدم نضع احتياجات الآخرين أولاً أثناء محاولتنا تحقيق هدف مشترك مثلاً. "الآخرون" ممكن أن يكونوا أفرادًا أو جماعات من نوع ما كالكنيسة على سبيل المثال. تذكرنا الخدمة أننا لسنا سبب العمل المؤدى، بل وقتها يكون تركيزنا كله منصبًا على شيء أكبر من ذواتنا. نخدم لنحقق هدفًا أسمى سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة من خلال تسهيل الخدمة للآخرين حتى يكون بإمكانهم المشاركة بأكبر قدر ممكن. قد تكون الخدمة خدمة متواضعة لكن نبيلة وسامية.

"عندما ائتزر الرب بمنشفة ليغسل أرجل التلاميذ أعطى
معنى مختلف للقيادة والخدمة. وقال أنها لا تمت بصلة
للكبرياء أو لمكانتنا في العالم بل لمركزنا فيه هو"[١]

استكشاف معنى الخدمة

أرى أن هناك عيبين على الأقل للخدمة في الحياة المسيحية وأعترف أني أجد صعوبة شديدة في تناول هذا الموضوع. من يميل إلى المبدأ الاستهلاكي سيُسرع إلى تذكيرنا بأن كل شيء بين أيدينا جاء بالنعمة والأعمال لا تفيدنا. ومن يميل إلى

١ Krejcir, Dr. Richard J.—www.intothyword.org/apps/articles/default.asp?articleid= 38075 &columnid=3803

الخدمة لديه استعداد للبذل والعطاء حتى حافة الانهيار وآخر شيء يريد سماعه هو صوت مَن يشجعه على إيجاد وسائل جديدة للخدمة.

صحيح أن أعمال الخدمة لا تفيدنا نحن بل تفيد الآخرين وهذا هو الهدف منها في آخر الأمر. وصحيح أيضًا أن الشخص الذي لديه قلب الخادم يميل إلى المبالغة في تقديم خدماته ويحتاج لمن يشجعه على تطوير خدمته وفقًا لمواهبه الروحية وعلى منعه من محاولة القيام بكل شيء.

تعاليم الرب يسوع عن الخدمة قلبت موقفنا نحو العظمة والقيادة رأسًا على عقب؛ إذ أوضح أن عظماء هذا العالم الحقيقيين هم من يخدمون غيرهم. كلمات الرب يسوع تستمد قوتها من تطبيقه لها في حياته إذ أعطى حياته فدية عن كثيرين. من الواضح أن أتباع الرب الحقيقيين، من يريدون فعلاً أن يتشبهوا بصورته، عليهم أن يعيشوا حياتهم متبنيين هذا الموقف تجاه الآخرين. الخدمة التي تؤدى عن قصد ستجعلنا حتمًا أشبه بصورة المسيح.

الخدمة تعطينا الفرصة لنتعلم التواضع، هناك نوع غريب من التواضع الزائف في الدوائر المسيحية يزيد من شأن المؤمن مدمن العمل. لكن الخدمة الحقيقية بهدف مصلحة الآخر ترتبط بالتواضع ارتباطًا وثيقًا. من الصعب معرفة أيهما يأتي أولاً، هل نخدم لأننا متواضعون أم لأننا نتحلى بالتواضع نخدم؟ سواء هذا أو ذاك فالاثنان يتماشيان معًا. اختيارنا لخدمة الآخرين يعيد توجيه دفة أولوياتنا فيحولنا من التمركز حول الذات إلى الانشغال بالآخرين.

"الهدف من الخدمة ليس استرضاء الناس بل هي اجتهادات مخلصة لنيل رضا اللّه! المقصود ليس كسب الرأي العام في صفنا بل الاستناد على اللّه"[٢]

الخدمة تعلمنا أيضًا أن أهميتنا ليست في أن نصير أعظم وأعظم بل في أن

٢ Ibid—www.intothyword.org/apps/articles/default.asp?articleid= 38075& columnid =3803

نرفع شأن الآخرين. العظمة الحقيقية تأتي من مشاركتنا في بناء حياة الآخرين وليس من إقامة نصب تذكارية لذواتنا. هناك أشخاص لا يريدون أن يخدموا إلا في المهام الكبيرة حسب وجهة نظرهم تاركين لغيرهم المهمات الصغيرة والتي تبدو لا قيمة لها. في واقع الأمر، كل أنواع الخدمة متساوية. الله يُسر بقلب الخادم وليس بأنواع معينة من الخدمة. إننا كثيرًا ما نركز على العمل نفسه ونتجاهل الروح التي نؤدي بها ذلك العمل.

"لأن ابن الإنسان أيضًا لم يأت ليُخدم بل ليخدم
وليبذل نفسه فدية عن كثيرين"

(مرقس ١٠: ٤٥)

للخدمة أهمية كبرى في حياتنا لأنها تعطينا الفرصة لأن نتعلم أن ندع القيادة للآخرين. لأن أغلبنا يكره الإحساس بأن يكون "تحت قيادة الغير". وهذا الأمر يصبح مشكلة حين نخدع أنفسنا بطريقة من هاتين الطريقتين. في المسار الطبيعي للعلاقات إما أن نكون مسيطرين لذا يبدو كل شيء على ما يرام في عيوننا أو يكون زمام القيادة بيد الآخرين مما يجعلنا في حالة توقع دائم بحلول كارثة. الحقيقة الله هو القائد، سواء عمل من خلالنا أو من خلال الآخرين. لذلك ترك القيادة للآخرين يجعلنا نشعر بالضعف لخوفنا من استغلالهم لنا أما ترك القيادة لله فيعلمنا أن نستند عليه ونضع أنفسنا في الوضع الذي يُمكننا فيه من الاستفادة من أي موقف نجد أنفسنا فيه.

"كل شخص ممكن أن يكون عظيمًا... لأن أي شخص
بإمكانه الخدمة. ليس ضروريًا أن تحصل على شهادة
جامعية أو تنال موافقة الجميع لتبدأ الخدمة بل كل ما
تحتاج إليه قلب ممتلىء بالنعمة وروح فائضة بالمحبة"[٣]

٣- King, Jr., Martin Luther—www.sptimes.com/2003/05/28/ Columns/Service_to_oth-ers_giv. shtml

حالات السقوط المحتملة

هناك حالة سقوط محتملة ترتبط بالخدمة مثلها مثل الطرق التسعة عشرة لإنعاش حياتك الروحية وهي إننا قد نشارك في خدمة الآخرين لإشباع احتياجاتنا نحن. وهذا بالطبع يشوه مفهوم الخدمة لكنها مشكلة مألوفة. الخدمة الحقيقية تحقق منفعة للآخرين وليس لذواتنا. قد نحصل على بعض المتعة منها وقد ننال شعورًا بالعرفان والتقدير من الذين نخدمهم وقد نحصل أيضًا على بعض الشكر في المجتمع بصورته الأوسع. لكن لابد أن نحترص من ميل إشباع رغبة المتعة والحصول على الشكر والتقدير.

يجب أن تسأل نفسك:

"هل أقوم بهذه الخدمة لإرضاء اللّه

أم المخدومين

أم نفسي؟"

كلمة مشجعة

حاول كتمان السرية في خدمتك بقدر الإمكان. لا تتباهَ بنفسك ولا تضلل أحدًا. لا تستغل قدراتك ومهاراتك في الخدمة كوسام شرف. درب نفسك على البحث عن مواقف يمكنك الخدمة فيها في هدوء وسرية تامة، أي من وراء الستار. فكر في معارفك وضع نفسك مكان مَنْ تخدمهم ولا يمكنهم تقديم شيء في المقابل. في الواقع إننا حين نخدم بدون انتظار مكافأة في المقابل نتبع بذلك مثال الرب يسوع.

٦ الصلاة

قصة للبداية

عندما تأتي سيرة الملوك أول شيء يخطر على البال هو قوتهم وجبروتهم. لكني أنا الأدرى بحدودها الضيقة. أنا "حزقيا" ملك يهوذا. ذهبت إلى الهيكل بالأمس وحدثت لي أروع تجربة في حياتي.

الأسابيع القليلة الماضية كانت فظيعة. الملك المريض لا يزيد عن أي إنسان عادي مريض. مرضت مرضًا خطيرًا، بالطبع أصبت بالمرض قبلاً لكن هذه المرة ظننت أني سأموت. في الواقع، أردت أن أموت بطريقة أو بأخرى حتى طلب "إشعياء" مقابلتي لتوصيل رسالة لي من الله. رسالة؟ "هكذا يقول الرب أوص بيتك لأنك تموت ولا تعيش".

ما أن خرجت الكلمات من فمه عرفت أنني لا أريد الموت، ليس قبل مدة طويلة. لم أتحمل النظر إلى مَنْ حولي ووجهت وجهي إلى الحائط وبكيت وصليت. توسلت إلى الله مرة أخرى. نفسي كانت حزينة جدًا، وتواضعت أنا الملك أمام الله القدير وتوسلت أن يرحمني مثلما كان يتوسل إليّ المحكوم عليهم بالإعدام طلبًا للرأفة. لقد شهدت هذا الأمر من قبل وأعرف تمامًا كيف ينفذ.

ذكّرت الله أنه سمع صلاتي قبل ذلك، فقد جاء "سنحاريب" ملك آشور

ليحاربنا منذ فترة ليست ببعيدة وصليت وقتها بلجاجة بقدر الإمكان كما ظننت، وسمع الله لي وأرسل ملاك الموت وقتل مائة وخمسة وثمانين ألفًا من جنود الأعداء في ليلة واحدة. وهرب "سنحاريب" إلى نينوى وذهب إلى المعبد وفيما هو ساجد قتله اثنان من أبنائه بالسيف.

سمع الله لصلاتي وقتها عندما كنت أتشفع لأجل الشعب والآن أتضرع لأجل نفسي. فهل سيسمعني؟ وهل سيستجيب لطلبتي؟

كنت أتأوه من الألم وذبلت صحتي للغاية. الآلام النفسية لا تقل عذابًا عن الآلام الجسدية التي كنت أشعر بها إثر الدمامل التي أصابتني. وفجأة وقواي على وشك الانهيار عاد "إشعياء" ليقول لي:

"قبل أن أخرج من باب القصر كانت إليّ كلمة الرب مرة ثانية. لذا جئت لأخبرك أن الله سمع صلاتك وبعد ثلاثة أيام ستتحسن صحتك وستصعد إلى بيت الرب. كما أضاف الله إلى عمرك خمس عشرة سنة ووعد أنه سيحامي عن المدينة خلال تلك الفترة".

ثم طلب من أحد العبيد أن يجلب قرص تين ووضعه على الدبل لعدة دقائق وعندما أزاله كان الدمل قد برئ. ارتعدت من الفرح والخوف. وشيئًا فشيئًا اختفت كل البثور أمام سلطان السماء. وحين فرغ "إشعياء" من عمله كنت شبه منتهٍ. لقد أنهك قواي لقائي هذا مع رجل الله.

أمس كان اليوم الثالث على مرور تلك الواقعة ولقد استعدت قواي بكل تأكيد وأصبح بإمكاني الذهاب إلى الهيكل. وبينما كنت أصلي لله في بيته شعرت بالرعدة لما تذكرت تجربتي لأني منذ أيام قليلة فقط ما كنت أتخيل أني سأدخل هذا المكان المقدس ثانية وها أنا الآن أرفع يدي شكرًا وحمدًا للرب الذي خلص المدينة وأنقذ حياتي.

ما الذي نتكلم عنه؟

قد نرى الصلاة أحيانًا على أنها ليست أكثر من تلاوة كلمات بدون انتباه وتركيز، صلوات مثل "أبانا الذي في السماوات" أو "السلام لكِ يا مريم" ليست هي الشكل الوحيد لهذا النوع من الصلاة. حكى لي صديق من أصدقائي أنه ذات مرة ركع بجانب السرير مع زوجته في نهاية يوم طويل وشاق ومن شدة إرهاقه قال بدون تفكير: "نشكرك يا أبانا السماوي على الطعام المقدم لنا الآن..." ثم قاطعت ضحكات زوجته كلامه.

تكرار الكلام، وهذا الكلام قد يكون كتابيًا، ليس موضوعنا هنا. إننا نتحدث عن شركة حقيقية، بيننا وبين الله على وجه التحديد. تشمل الصلاة عدة جوانب: الاعتراف، عرض الاحتياجات والسؤال لتلبيتها، التشفع لأجل الآخرين، التعبد، والشكر. كلها مجالات في غاية من الأهمية.

لتحقيق هدف كتابنا هذا سوف نلقي الشبكة على أوسع نطاق ممكن ونُعرف الصلاة بكل بساطة كشركة روحية مع الله.

الأساس الكتابي

إننا نعرف أهمية الصلاة بسبب تركيز الكتاب المقدس عليها ونرى الرب يسوع كرجل صلاة، على سبيل المثال نقرأ في لوقا ٦: ١٢ أنه ذهب إلى الجبل ليصلي وقضى الليل كله في الصلاة.

"الصلاة أكثر وسيلة مألوفة مكملة للميدان الطبي وتفوق علاج الوخز بالإبر والعلاج بالأعشاب والفيتامينات وكل وسائل العلاج الأخرى"[١]

---

١ Rob Stein, "Researchers Look at Prayer and Healing," Washington Post, March 24, 2006

كما علم الرب يسوع عن الصلاة وقال أشياءً مثل:

"ومتى صليت فلا تكن كالمرائين. فإنهم يحبون أن يصلوا قائمين في المجامع وفي زوايا الشوارع لكي يظهروا للناس. الحق أقول لكم إنهم قد استوفوا أجرهم. وأما أنت فمتى صليت فادخل إلى مخدعك واغلق بابك وصل إلى أبيك الذي في الخفاء. فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية. وحينما تصلون لا تكرروا الكلام باطلاً كالأمم. فإنهم يظنون أنه بكثرة كلامهم يستجاب لهم"

(متى ٦: ٥-٧)

وقدم لنا الرسول "بولس" مثالاً بتسجيل عدة صلوات في رسائله كما علم هو الآخر عن أهمية الصلاة والحاجة للصلاة وتأثير الصلاة الفعالة. لن أحاول حتى أن أقنعك أن على المؤمنين أن يأخذوا موضوع الصلاة بكل جدية لأن معظمنا يعرف ذلك بالغريزة حتى لو كنا لا ندين ونلوم أنفسنا على عدم الاجتهاد في ممارستها.

استكشاف معنى الصلاة

"كيف تسير حياة الصلاة معك؟" لي صديق يحب أن يسألني هذا النوع من الأسئلة ليحرجني. وذات مرة بعد أن رأى الارتباك باديًا على وجهي قال: "طرحت هذا السؤال على العديد من الناس وأعرب كل منهم عن استيائه من نوعية وكمية الصلاة في حياته". وهذا طبعًا ينطبق على كل الأنشطة الروحية لكن لأننا نعرف أن الصلاة موضوع محوري فإنها تفيد كإشارة تحذير.

إننا نواظب على الصلاة لعدة أسباب، أسهلها هو الاقتداء بالرب يسوع وطاعة وصايا كلمة الله. لكن هناك أسبابًا أخرى مختفية تحت السطح. فالصلاة

تتيح لنا أن نتواصل شخصيًا مع الله ونختبر حضوره. الصلاة المنتظمة تجعل الوقت الذي نقضيه مع الله متناغمًا مع حياتنا أي ليس محشورًا في جداول أعمالنا المزدحمة أو ليس مُلحًا حسب الضرورة. أغلبنا يصلي لأنه يشعر بحاجة ما. عندما يشتد الضيق تصبح الصلاة غريزة بالنسبة للمؤمن مثل البكاء للطفل. نتألم فنريد أن الله يتصرف حيال ذلك. لكن كلما ازددنا نضوجًا كلما وجدنا أن جدول أعمالنا لا يتماشى مع أعمال الله. لو قضينا أوقاتًا كثيرة معه سندرك وقتها أولوياته ومشيئته.

البعض منا يحب تسجيل قياس درجات التقدم ورؤية تغيير إيجابي في حياته. يبدو أننا بحاجة لهذا النوع من التشجيع للاستمرار، لكن لمن يقع تحت هذا التصنيف يجب أن يكون قادرًا على تقييم حياة الصلاة لديه. تعلمت أن النجاح في حياة الصلاة لا يُقاس بالدرجة الذي نستطيع بها أن نجعل الله يتفاعل مع الناس والظروف كما نراها بل بالدرجة التي نتفاعل بها مع الناس والظروف كما يراها الله. هذا عكس ما ينتظره غالبيتنا لأن حتى رجال الله الأتقياء يميلون إلى رؤية استجابات الصلاة فقط حين تنفذ إرادتهم في حياتهم أو في حياة الآخرين.

"وفقًا لبعض الدراسات يصلي نصف الأمريكيين تقريبًا بانتظام لأجل صحتهم وربعهم على الأقل يطلبون من الآخرين الصلاة لأجلهم"[٢]

في واقع الأمر، صحيح أنه ليس دائمًا خطأ أن تصلي كي تحدث الأمور كما تود، إلا أن الغرض من الصلاة هو أن تصل للمرحلة التي تطلب فيها من الله أن تتشكل حسب مقاصده في الظروف التي تجد نفسك فيها حتى لو تضمنت أشياءً تحب من الطبيعي أن تتجنبها. إننا نحد من فائدة الصلاة حين نصر على الله أن يفعل ما نظن أنه الأفضل لنا ولمن نحب. سنكون بأفضل حال لو سمحنا له أن يرتب الأمور بمعرفته ولو طلبنا أن نتماشى معها.

[٢] Ibid

قمت بجمع بعض النصائح على مر السنين لنمو حياة الصلاة وأتمنى أن تجدها نافعة لك أنت أيضًا:

كن محددًا. يتمجد الله بشكرنا وحمدنا له على الأشياء التي يعملها لأجلنا. عندما نكون محددين في صلواتنا سنرى استجابات محددة وسنشكر أيضًا شكرًا محددًا.

اسمع بقدر ما تتكلم. المحادثات ذات الجانب الواحد غير مرضية بالمرة للمستمع. اقض وقتًا تستمع فيه لصوت الله وأنت تصلي فقد يكون لديه أشياء يريد أن يبلغك بها.

اعترف بخطاياك. الخطية دائمًا تتدخل في علاقتنا الحميمية مع الله.

كن صبورًا. إننا دائمًا نستعجل الأمور أكثر من الله. افهم أنه ليس فقط لديه الحق في الاستجابة في وقته لكنه لن يستجيب إلا في وقته. التوقيت جزء من استجابته للصلاة.

اكتب قائمة لتنشيط ضعف الذاكرة ولتسجيل استجابات الصلاة. بمرور الوقت وأنت تحاول أن تتطابق مشيئتك مع مشيئته سوف يتغير نوع القائمة من قائمة طلبات إلى قائمة شكر.

صلِّ بصوت عال. التعبير بصوت مسموع له فوائد عديدة. عندما ندرب أنفسنا على صياغة الكلمات والنطق بها بصوت عال سنجد أن ذلك يُسهل علينا التركيز على ما نريد أن نقدمه لله.

في نفس الوقت لا تتردد في قضاء الوقت في محضر الله حين تكون غير قادر على وضع كلمات معينة لأي شيء تعرضه على أبيك السماوي.

صلِّ لتغيير داخلي. الصلاة المتكررة الصادقة بخصوص بعض "المناطق المحظورة" في حياتك هامة للغاية لو أردت أن تتشبه أكثر بصورة الرب يسوع. اطلب من الله أن يجعلك الشخص الذي يريد أن تكون.

صلِّ بإيمان. الصلاة بدون إيمان شيئان متناقضان. المهم هنا هو أن تتذكر أن إيماننا في الله وليس في نتيجة معينة قررنا أنها هي الأفضل. دع الله يختار النتيجة الأفضل لأن اختياراته أفضل بكثير من اختياراتنا!

حالات السقوط المحتملة

قد تتعثر محاولاتنا لعيش حياة الصلاة الصادقة بسبب ميلنا إلى الخطية وربما يقودنا ذلك إلى قصر الصلاة على وقت وشكل معين مع إن الصلاة تستلزم شيئين هما العفوية والتنظيم. سوف نخسر الكثير إذا نفذنا الواحد على حساب الآخر. ممكن أن يتشتت فكرك أثناء الصلاة من كثرة محاولاتك بأن تجعل الله يعطيك ما تريد. وفي بعض الحالات قد تتحول الصلاة إلى وسيلة لنيل مجد شخصي في الكنيسة إذ تُستخدم كآلية لاستعراض مستوى روحي مزعوم.

كلمة مشجعة

أتمنى أن أكون قد نجحت في توضيح فكرة أن الصلاة ليست معادلة بسيطة (حين أطلب هذا، يفعل الله ذلك). الصلاة حوار متواصل يسير في اتجاهين وعلاقة حميمة بين الطرفين.

٧ قل لا لنفسك

قصة للبداية

لا توجد تجربة أصعب من تقليد الآخرين خاصة حين تجد نفسك وحيدًا في أرض العدو. أنا "عزرا" الكاتب والكاهن، ولدت مسبيًا في بابل وعشت حرًا في أورشليم بنعمة الله وبفضل مراسيم "كورش" و"داريوس" الملكية. رغم كل الجهود التي بُذلت لمنع حدوث ذلك لم يضعف إيمان اليهود طوال سنوات السبي في أرض غريبة.

رغم البعد عن الجبل المقدس وحرماننا من الصلاة في الهيكل وتقديم الذبائح التي أمر بها الله إلا أننا احتفظنا بإيماننا. درسنا التوراة واجتهدنا في فهم معانيها الغامضة وتنفيذ وصاياها وتعليمها لأولادنا بكل أمانة.

كيهودي تقي عائش وسط البابليين الأشرار وجدت في الطرق القديمة مصدرًا يمدني بالقوة لمقاومة الانصهار في الثقافة الوثنية المحيطة بي. الاحتفال بكل عيد والصلاة المنتظمة وطقوس الاغتسال والصوم المقدس، كل هذا ذكرني بإله آبائي الذي خلصنا من قبل وسيخلصنا ثانية.

تجدد الأمل في قلوب إخوتي المسبيين من السنة الأولى لحُكم "كورش" ملك فارس. مرسوم الملك الذي حركه الله بنفسه أطلق سلسلة حملات لأرضنا وأخيرًا حان دوري.

قبل بدء الرحلة أرسلت رسالة لمدينة "كسفيا" طالبًا من بعض اللاويين أن ينضموا إلينا. فقد كان معنا بعض أوعية الهيكل المقدسة ومن اللائق أن تكون تحت رعاية بني "لاوي". استجاب لنا ثمانية وثلاثون وأحضروا عائلاتهم معهم.

لكن راودنا بعض الخوف والقلق لأن فضة وذهب الهيكل التي بحوزتنا قد تجذب اللصوص وقطاع الطرق فيسرقون وينجسون الآنية المقدسة التي قدسناها للرب. فخطر على بالي أن أطلب من الملك حرسًا ليرافقونا لكننا قلنا للملك بفخر من قبل "إن يد إلهنا على كل طالبيه للخير. وصولته وغضبه على كل من يتركه". ألن يستصغر إلهنا لو طلبنا منه الآن حراسة عسكرية؟

فعلت ما صار عادة لي طوال حياتي. ناديت بصوم وحرمنا أنفسنا من ملذات الطعام والشراب والقوة التي تمدنا بها وتذللنا أمام الله. لن نطلب مساعدة من الملك بل سنتكل بالكامل على ذراع الله القديرة. بعد انتهاء فترة الصوم قسمت الآنية الذهبية والفضية بين الكهنة واللاويين وأوكلت إليهم حفظها وحراستها حتى وصولنا إلى أورشليم.

لقي صومنا وصلاتنا استحسانًا من الله وبعد ثلاثة شهور ونصف من السير وسط أراض لا يسكنها إلا الوحوش وأناس مشابهين لها وصلنا إلى المدينة المقدسة. سلمنا لـ "مريموث" الكاهن ومساعديه بني لاوي كل الآنية بدون أي خسائر. وبعد الانتهاء من إحصاء وتسجيل كل شيء توجهنا إلى الهيكل حيث قربنا لأول مرة في حياتنا المحرقات لله.

ما الذي نتكلم عنه؟

الصوم هو ببساطة الامتناع عن شيء ما، عادة يكون الطعام. ممكن أن يكون كليًا أو جزئيًا. معظم أنواع الصيام تسمح بشرب الماء وهناك أنواع أخرى تتيح مشروبات خفيفة. قد يُستخدم الصوم بطرق مختلفة وفقًا لاختلاف الشعوب والأمم لكننا سوف نركز هنا على فوائده الروحية.

الأساس الكتابي

بينما يهتم المسيحيون بالصوم كموضوع عام لكن عدد قليل منهم يمارسه. تأمل في كلمات الرب يسوع للجموع:

"ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين. فإنهم يغيرون وجوههم لكي يظهروا للناس صائمين. الحق أقول لكم إنهم قد استوفوا أجرهم. وأما أنت فمتى صمت فادهن رأسك واغسل وجهك كي لا تظهر للناس صائمًا بل لأبيك الذي في الخفاء. فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية"

(متى ٦: ١٦– ١٨)

ربما يشعر المؤمنون الأمميون أن الرب يسوع كان يتكلم في إطار يهودي ولا يشير إلى أن الصيام سيكون جزءًا من حياتهم. وللرد عليهم أود أن ألفت نظرهم إلى إجابة الرب يسوع على تلاميذ "يوحنا":

"حينئذ أتى إليه تلاميذ يوحنا قائلين: لماذا نصوم نحن والفريسيون كثيراً وأما تلاميذك فلا يصومون. فقال لهم يسوع هل يستطيع بنو العرس أن ينوحوا ما دام العريس معهم. ولكن ستأتي أيام حين يرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون"

(متى ٩: ١٤– ١٥)

كما أن سفر أعمال الرسل يوضح أن الصوم كان جزءًا من العبادة في عصر الكنيسة الأولى، وفي رسالة كورنثوس الثانية يتحدث "بولس" مرتين عن عاداته في الصوم.

"الصيام ليس هدفًا في حد ذاته، بل وسيلة نستطيع بها أن نعبد الرب ونذلل أنفسنا أمامه. لا يمكننا أن نجعل الله يحبنا أكثر مما يحبنا بالفعل لو صمنا أو امتد صيامنا لفترة

أطول. الصيام يدعو اللّه للدخول في المشكلة ثم بالقوة التي يمدنا بها اللّه يصبح النصر ممكنًا"[١]

استكشاف معنى الصوم

من بين الأسباب التي تدعونا للصوم، أود أن أضع الاقتداء بالرب يسوع والكنيسة الأولى على رأس القائمة. يتيح لنا الصوم بأن نزيد من تركيزنا على الله. وخزات الجوع التي نختبرها تفيد كوسائل تذكرة بأننا نؤدي تدريبًا روحيًا. أغلب الأوقات، حتى التي نقدم فيها الشكر قبل تناول الطعام، يكون إشباع الجوع فيها مجرد جزء طبيعي من يومنا بدون إشارات روحية. فترات الصوم المتقطعة تشد انتباهنا إلى الصلة التي توجد بين الله كمصدر الحياة ودوره كحامل الحياة.

يساعدنا الصوم على:
تنفيذ توقعات (وليس وصايا) المسيح.
زيادة تركيزنا على اللّه.
شعورنا بالاتكال على اللّه.
التحرر من عبودية إرضاء ذواتنا.
إظهار العيوب الشخصية التي تحتاج إلى تقويم.

إحدى فوائد الصوم الرائعة هي تحررنا من العبودية اليومية لإسعاد وإرضاء ذواتنا. لقد صرنا معتادين على إشباع رغباتنا الجسدية بدون تفكير لدرجة أن فكرة ضرورة إشباع الشهوات انغرست فينا. لذلك يذكرنا الصوم بأن الروحيات تفوق الجسديات.

فائدة أخرى للصوم هي قدرته على إظهار الصفات الشخصية التي تحتاج إلى إصلاح وتقويم. الإجهاد، على سبيل المثال، يكشف عن الجوانب السلبية للذات الداخلية. الصوم مصدر إجهاد وتوتر يسيطر عليه الإنسان ويساعدنا على كشف نقاط الضعف فينا. صفات مثل عدم الصبر والجحود وحدة الانفعال سوف تظهر على السطح ويمكننا استغلال هذا الوعي للنمو روحيًا.

[١] Towns, Elmer L.—www.wcg.org/lit/spiritual/group/ discip6.htm

دعوني أقترح عليكم بعض النصائح العملية:

حدد هدفك الروحي قبل البدء. قد يكون عامًا مثل الرغبة في إذلال نفسك أمام الله أو خاصًا كطلب الإرشاد بخصوص أي "خطوة تالية" تريد أن تتخذها في حياتك. مهما يكن الأمر، حدد هدفك قبل بدء الصيام.

ابدأ بكمية قليلة. فوِّت وجبة واحدة كبداية لتشعر بما سوف يحدث ثم زد تدريجيًا فترة صومك لكن لابد أن تعرف سبب قيامك به في المقام الأول. كما أن الصلاة الطويلة لا تنجح في إبهار الله (متى ٦: ٧) هكذا أيضًا فترات الصوم الطويلة.

استشر طبيبك. الصوم لن يشكل مشكلة كبيرة لو كانت صحتك عادية لكن قد يكون خطرًا لو أنك تعاني من مشاكل صحية كالمتعلقة بتنظيم السكر في الدم.

فكر في ممارسة الصيام الجزئي (خاصة لو كنت تعاني من مشاكل صحية). إننا لا نصوم لنثبت شيئًا لله (أو لأي شخص آخر). الصوم عن نوع معين من الطعام قد يحقق أهدافك الروحية.

افطر على أطعمة صحية وغنية بالألياف. فترات الصوم الطويلة قد تولد رغبة شديدة تجاه الدهون والملح والسكر. اجتنب الإفراط الشديد في إشباع هذه الرغبات وتناول السلطة مع الخبز الأسمر.

لو دعاك أحد لتناول الطعام وأنت صائم، قل بصراحة: "هذا لا يناسبني الآن، لماذا لا نؤجلها للأسبوع القادم؟". لو الشخص الآخر بحاجة لصحبتك أو مشورتك وليس لديه وقت آخر غير وقت الطعام فمن الأفضل أن تأكل معه. في كتابه "حكمة البرية" يحكي لنا "توماس ميرتون" Thomas Merton عن رجلين قاما بزيارة صديق لهما في يوم كان صائمًا فيه. لكنه دعاهما بكل حرارة لتناول الطعام معه وعلق بعدها على ذلك قائلاً: "الصوم له مجازاته لكن من يأكل من باب الصدقة ينفذ

وصيتين، يطرح رغبته الذاتية جانبًا وينعش إخوته الجائعين".[٢]

الصوم يذكرنا بأننا محمولون بكل كلمة تخرج من فم الله (متى ٤: ٤). الطعام لا يحملنا بل الله هو حاملنا[٣].

حالات السقوط المحتملة

إننا نميل إلى خلط الأمور بعضها ببعض تأثرًا بثقافتنا متعددة المهام. لكن أود أن أهمس في أذنك بنصيحة صغيرة وهي لا تخلط بين الصوم وبين اتباع نظام غذائي للتخسيس. إن كنت بحاجة لفقدان بعض الوزن ابحث عن طريقة صحية لعمل ذلك والتزم بها. فوائد الصوم الروحية تتسرب منا عندما نحاول استغلاله في الحصول على نتائج جسدية. احترس أيضًا من استخدام الصوم كوسيلة لابهار الناس (سواء نفسك أو الآخرين) بمستواك الروحي أو بقوة إرادتك. من السهل الوقوع في هذا الفخ. وأخيرًا قد يستخدم البعض الصوم كوسيلة يضغط بها على الله ليعمل شيئًا يريده. الله "ليس مديونًا لنا" عندما نمارس هذا أو ذاك النشاط الروحي.

كلمة مشجعة

سؤال يتكرر كثيرًا عندما أتكلم عن الصوم "ماذا لو عرف أحدهم بأمري؟". الرب يسوع حذرنا من استعراض الشخص بصيامه لذا لا يجب أن نتفاخر به لكن خوفك المبالغ فيه من اكتشاف الآخرين بأمرك ليس صحيحًا هو الآخر. المبالغة في كتمان الصوم قد يصبح مصدرًا للكبرياء مثلها مثل التفاخر به. من الصعب إخفاء أمره عن أفراد الأسرة مثلاً أو زملاء العمل. لا تجعل منه قضية كبيرة في الحالتين. إنه أمر تمارسه والناس سوف تعتاد على ذلك.

في الختام، لا أعرف شخصًا مارس الصيام بجدية وتمنى لو لم يفعل ذلك، بل على العكس أعرف من لم يقم به من قبل ويتساءل إن كان فاته شيء طيب.

---

[2] Merton, Thomas—"Wisdom of the Desert: Translations from the 'Verba Seniorum,'" N.Y., New Directions Books, 1970

[3] Foster, Richard J.—www.wcg.org/lit/spiritual/ group/ discip6.htm

٨ عش ببساطة

قصة للبداية

يتصرف البعض أحيانًا بغرابة لأنه يريد أن يكون مختلفًا عن الآخرين والبعض الآخر يُعد غريبًا بالفعل لأنه مختلف عن بقية الناس. يبدو أني كنت دائمًا مختلفًا. اسمي "يوحنا" بن "زكريا" لكني معروف أكثر بـ "يوحنا المعمدان".

أبواي كانا شيخين طاعنين في السن عند ولادتي لذلك كانت الواجبات المطلوبة مني كثيرة. كنت أنفق الجزء الأكبر من وقتي في القيام بالأشياء التي لا يستطيعون القيام بها لكني لا أستاء من ذلك الوقت. أبي كان كاهنًا ومجرد الوجود معه كان بمثابة تربية روحية لي. عندما كنت أسترق النظر إليه في بعض الأحيان كنت أجده يحدق فيّ كما لو كان يحاول أن يتبين من أنا. كنت أجده أمرًا غريبًا في البداية لكني تعودت عليه.

قسمت وقتي منذ صغري بين رعاية والداي اللذين كانت احتياجاتهما في تزايد مستمر وبين تعلم واجباتي ككاهن. ولم يتبق لي إلا قدر قليل من الطاقة لأشارك في الأنشطة التي يهتم بها أقراني. في البداية كانوا يحثوني على مشاركتهم في أنشطتهم الاجتماعية لكن بعد عدة محاولات يئسوا مني وفقدوا اهتمامهم بي.

كان هذا الأمر بصراحة يناسبني لأني وجدت أن اهتماماتهم تافهة وسخيفة.

غامرني إحساس قوي بأن الله كان يعمل تحت السطح بين شعبي المضطرب وبأنه في أي وقت سيظهر بقوة بيننا. تولدت لديّ رغبة دفينة في معرفة الله معرفة شخصية وفي استخدامي في فداء إسرائيل.

بعد وفاة والداي العزيزين أصبحت أكثر تحكمًا في وقتي، وتركت خدمة الهيكل لأني رأيت أن معظم الكهنة كانوا يعملون بهدف تحقيق مصالح شخصية وليس رغبة في خدمة الله. كان الشباب الطموح المتطلع إلى المراكز والمناصب المرموقة يجعل غيابي عن الساحة أمرًا غير منطقي.

اعتدت التجول في البرية وأحيانًا كنت أبتعد لدرجة تضطرني لقضاء الليل هناك، وبمرور السنوات أصبحت البرية بيتًا ثانيًا لي. وفي نهاية الأمر يمكنني القول أنها أصبحت بيتي الأول. كنت أشعر بأني أكثر قربًا إلى الله وأنا في الفضاء الواسع بعيدًا عن وسائل الإلهاء في المجتمع الإنساني.

الأمور التي كانت تبدو في الماضي مهمة وضرورية أصبحت بمرور الوقت لا قيمة لها على الإطلاق. تعلمت أن الله يهيئ الطعام المجاني حتى في البرية وأصبحت احتياجاتي أقل وأقل كلما ازداد اقتناعي بأن الشيء الوحيد الذي يهم هو تلبية دعوة الله. في السنوات الأخيرة لم أعد أمتلك إلا بعض الملابس الخشنة التي أُعدها لنفسي وعصا أحملها دائمًا لأبعد بها الحيوانات المفترسة التي تصادفني في طريقي ولأستند عليها عند صعودي للأماكن المرتفعة.

أتكلم عن التوبة إلى كل مَن يستمع لي وأنزل إلى نهر الأردن حيث كان الجميع يأتي للانتعاش ولتجديد نشاطهم وهناك أدعو إلى التوبة باحثي المتعة الذين يكتفون بالقليل ويفوتون على أنفسهم أعظم المتع على الإطلاق كوجود الله في حياتهم. كان البعض يهزأ ويسخر من "الرجل المجنون" الواقف على الضفة الأخرى من النهر لكن أغلب الناس كانوا مقسمين بين حبهم لله وبين حبهم للأشياء المادية وقلة ذرفت دموعها على مياه الأردن وهم يحاولون الانضمام لي على الشط الآخر. وذات يوم نزلت إلى المياه بنفسي وهكذا بدأت خدمتي في المعمودية.

ثم بالأمس فقط حدث ما حدث. كالعادة اقتحم الله المشهد بأروع طريقة. جاء يسوع قريبي وأنا أبشر وأشار لي روح الله الذي بداخلي أنه هو المسيا. كم من أوقات قضيتها مع الممسوح من الله ونحن أطفال. كنت مغمورًا بالامتياز المعطى لي غير قادر على الاعتراف بسعادتي به في ذلك الوقت.

أشرت إليه على الفور "هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم". وتجاوب الجمع مرة أخرى بنفس المزيج من عدم التصديق والصراع الداخلي والإيمان. هناك شيء عجيب على وشك الحدوث وأشعر بسعادة غامرة لوجودي هنا لمشاهدته.

ما الذي نتكلم عنه؟

البساطة هي أسلوب حياة ذات احتياجات مختصرة وترتبط بحسن التدبير الاقتصادي لكنهما يختلفان في شيء واحد: التدبر يتطلب قلة الإنفاق المادي بينما البساطة تقتضي أن تتعلم أن تريد أقل الأشياء الممكنة. (الإنسان الاقتصادي قد يبذل مجهودًا مضاعفًا في تدبر الطرق للحصول على ما يريد بدون إنفاق أموال كثيرة، ربما بالمقايضة أو المساومة، أما الإنسان البسيط لا يحتاج إلى كل هذا).

الأساس الكتابي

البساطة تعتبر تحديًا صارخًا لروح ثقافتنا. والرب يسوع عارض مرض الجنون المادي بهذه الكلمات:

> "لا تكنزوا لكم كنوزًا على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون. بل اكنزوا لكم كنوزًا في السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث لا

ينقب سارقون ولا يسرقون. لأنه حيث يكون كنزك هناك
يكون قلبك أيضًا"

(متى ٦: ١٩– ٢١)

لا يترك الرب شكوكًا بخصوص أولويات الملكوت.

استكشاف معنى البساطة

تتسم الثقافة الغربية بالتعقيد، فالكثيرون يعملون بأكثر من وظيفة والأسرة الواحدة تمارس مجموعة متنوعة من الأنشطة والمهام والمسئوليات. اختلاط العائلات بعضها ببعض يزيد من العلاقات المعقدة. امتلاك ممتلكات مادية جديدة يجبرنا على تخزين أو إلقاء ممتلكات الأمس. القضايا الكونية تؤثر علينا محليًا والتكنولوجيا لا تكف عن تقديم الجديد كل يوم. الوقت والمكان آخذان في الانكماش والحياة نفسها تزداد تعقيدًا.

"من يملك القليل يتملكه القليل"[1]

في كتابه Wisdom of the Desert: Verba Seniorum يقول "توماس ميرتون" Thomas Merton أن الأب "أجاثو" كثيرًا ما كان ينصح تلميذه قائلاً: "لا تقتنِ لنفسك أبدًا شيئًا قد تتردد في إعطائه لأخيك إذا طلبه منك لأنك بذلك ستكونَ متعديًا للوصية الإلهية التي تقول: مَن سألك فأعطه. ومَن أراد أن يقترض منك فلا ترده"[1].

هذه إحدى الأشياء المسببة للخلافات لعلك جربتها في حياتك الروحية. في كل أسرة تجد أن لبعض أفرادها شغفًا باقتناء الأشياء وتملكها بينما يستخدمها البعض الآخر لفترة من الوقت ثم يوزعها أو يستغني عنها. لقد شهدت مثل هذه المشاكل في أسر عديدة بما فيها أسرتي أنا. الحياة التي بها توازن مستقر بين كل الأمور تعد تحديًا صعبًا.

[1] Thoreau, Henry David—htt p://www.ehow.com/how_111392_buy-nothing.html

"تكلفة الشيء هي كمية... الحياة المطلوبة لاستبداله فورًا أو على المدى البعيد"[٢]

لو طبقنا البساطة على الوقت و العمل والمكان والمقتنيات ستجد أن لها فوائد عديدة. فهي بإمكانها أن تحررنا من عبودية المشغولية الدائمة. معظم الناس الذين أعرفهم يشكون من إيقاع الحياة السريع والالتزامات المفروضة عليهم. في واقع الأمر، أغلب إن لم يكن كل المسئوليات تكون نتيجة لاختيارات معينة. لو لدينا الرغبة في القيام بها فسيكون بمقدور معظمنا التقليل من الالتزامات.

الحياة البسيطة ممكن أن تحررنا أيضًا من بعض القيود التي تفرضها علينا الأشياء التي من حولنا. إذا اقتضت الضرورة فسيكون بإمكاننا العيش مع أقل عدد ممكن من الممتلكات المادية. يعيش الكثير منا في عبودية اختيارية للأشياء التي يمتلكها. كلما جمّعنا وكومنا الأشياء كلما احتجنا لوقت أطول لاستعمالها وصيانتها وتبرير امتلاكنا لها. أكرر مرة أخرى، لو لدينا رغبة حقيقية في التقليل من الأشياء في حياتنا فإننا بالتأكيد سنتمكن من تنفيذ ذلك على أرض الواقع.

الحياة البسيطة تسمح لنا بأن نصبح وكلاء أفضل على الأرض وعلى نصيبنا من مواردها. إننا في النهاية لا نملك شيئًا لذا لابد أن نعتبر أنفسنا مجرد وكلاء على الإمكانيات التي وضعها الله بين أيدينا. عندما نستخدم أكثر مما نحتاج نحرم الآخرين من نصيبهم ونستنفد المواد الخام ونشارك في تلويث البيئة.

الحياة البسيطة التي بها أقل قدر من الممتلكات المادية تتيح لنا بأن نركز على استغلال إمكانياتنا في عمل الله. معظم "الأشياء" التي نمتلكها ليست ضرورية لعمل ما يطلبه الله منا. إننا نحصل عليها لأنها تسلينا وتريحنا وتسعدنا... بمعنى آخر تصبح محور حياتنا وشغلنا الشاغل. الاستغناء عن هذه الأشياء غير الضرورية يوفر لنا الوقت لنركز على تنفيذ إرادة الله في حياتنا.

[2] Thoreau, Henry David—htt p://www.quotationspage.com/quote/27136.html

في الوقت الذي نحاول فيه أن نعيش الحياة البسيطة سنجد مزيدًا من الوقت للاستمتاع بعطايا الله وبدلاً من استعبادنا لها سنكون شاكرين لله عليها. الله سيعطينا ما نحن بحاجة إليه لعمل ما يطلبه منا. عندما نقصر أنفسنا على ذلك سنكتشف مستويات جديدة من الفرح والاكتفاء. لي صديق يعيش كلاجيء في كندا ولا يمتلك إلا أقل القليل ويجاوب "راض" على سؤال "كيف حالك؟" وهو يعني الكلمة فعلاً. إجابته تعكس واقع نفس مرتاحة. لماذا تريد أن تكون مجرد "طيب الحال" بينما بمقدورك أن تكون "راضيًا"؟

اختيار البساطة يذكرنا بأننا بطريقة ما لا "نستحق" الأكثر والأفضل والأحدث بغض النظر عما تريد الإعلانات التجارية أن توصله لنا. تخيل نفسك متحررًا من الالتزام بالرد على كل رسالة ترد إليك عن منتجات من كل نوع "جديدة ومحسنة". إننا نشعر في مجتمعنا كأنه سينقصنا شيء كبير إذا لم نشتر أحدث وأفضل نسخة من كل شيء. هذا ينطبق على مجال الكمبيوتر والإلكترونيات فهو شيء مخجل أن يكون لدينا نسخة ١٤٫٦ بينما ١٥٫٠ طرحت في الأسواق.

وأخيرًا تعلمنا البساطة أن الله فيه الكفاية. إليك بعض كلمات الرسول "بولس" ولاحظ استخدامه لعبارة "كل نجاسة في الطمع" وهذه سمة تميز كل مَن لم يتعلم أن الله فيه الكفاية:

البساطة تساعدنا على:
تحرير أنفسنا من عبودية المشغولية.
تحرير ذواتنا من عبودية الأشياء.
أن نكون وكلاء أفضل على الأرض ونصيبنا من مواردها.
أن نركز على استخدام إمكانياتنا لصالح عمل اللّه.
إتاحة الفرصة للاستمتاع بعطايا اللّه وشكره عليها.
أن نتذكر أننا لا "نستحق" الأكثر والأحدث والأفضل.
اتخاذ موقفًا إيجابيًا ضد المادية التي كثيرًا ما نشجبها.
تعلم أن اللّه فيه الكفاية.

"فأقول هذا وأشهد في الرب أن لا تسلكوا في ما بعد كما
يسلك سائر الأمم أيضًا ببطل ذهنهم إذ هم مظلمو الفكر
ومتجنبون عن حياة الله لسبب الجهل الذي فيهم بسبب
غلاظة قلوبهم. الذين إذ هم قد فقدوا الحس أسلموا
نفوسهم للدعارة ليعملوا كل نجاسة في الطمع"

(أفسس ٤: ١٧– ١٩)

يتناول هذا المقطع السلوك اللاأخلاقي لمن يبالغون في إشباع شهواتهم "ليعملوا كل نجاسة في الطمع" وهذا ينطبق على كل الشهوات. مَن يسلم ذاته لطموح الاكتساب والتملك هو أيضًا مقيد لعمل "كل نجاسة في الطمع".

"اتباع أسلوب حياة الأثرياء مسألة معقدة: المقاييس في
تغير دائم ومصادر القلق في تكاثر متواصل، لذا كثيرًا ما
يتكلم المسيحيون المتصوفون الزاهدون عن الانعزال.

حالات السقوط المحتملة

أعترف بأني لا أجد عيبًا واحدًا في اتباع المرء أسلوب حياة بسيط. لكن هناك بالطبع جوانب سلبية عامة تحوم في الخلف كالكبرياء والروح الناموسية والاستعلاء على الآخرين فتشعر بالرضا عن نفسك وتنفي أي مكسب من التدريب الروحي الذي تمارسه مع كل مبدأ تلتزم به.

إذا لم نهتم بالحصول على المزيد من الأشياء سوف نركز
أكثر على تعلم المحبة بالحق أو التعامل وجهًا لوجه مع
المحتاجين أو دراسة كلمة اللّه أو تعلم الاتكال على الروح"[٣]

[٣] Merton, Thomas—"Wisdom of the Desert: Translations from the 'Verba Seniorum,'" quoted at watersedge

كلمة مشجعة

إذا أردت أن تكون بسيطًا في حياتك خطط يومك مع وضع البساطة في الاعتبار. حدد وقتًا للراحة والترفيه في جدولك اليومي لكن انتبه من الوقت الذي يضيع على الأمور غير الضرورية. احفظ ذهنك كما تحفظ بيتك من الفوضى. الأفكار التافهة ستجعلك تملأ حياتك بأمور تافهة. اكتب قائمة بكل إمكانياتك: وقتك ومالك ومواهبك وطاقتك ولاحظ كيف تستثمر هذه الأمور. انظر إلى كل شيء في حياتك وحدد وسائل الرفاهية أي الأشياء غير الأساسية لمعيشتك ولحياة صحية سليمة واسأل نفسك:

احفظ ذهنك كما تحفظ بيتك من الفوضى. الأفكار التافهة ستجعلك تملأ حياتك بأمور تافهة.

هل ما استخدمته هنا للحصول على هذا الشيء يستحق كل هذا العناء؟

كيف يريدني الله أن أستخدم هذا بعد حصولي عليه؟

هل يريدني الله أن أتخلص من هذا لأجعل حياتي أبسط؟

رجاءً:

فكر مرتين في المستقبل واشتر مرة واحدة. كلما اشتريت مشتريات ضخمة كلما قضيت وقتًا أطول في التفكير عما كنت بحاجة إليه.

اسأل نفسك أسئلة صعبة بخصوص الدوافع التي توجد وراء الرغبة في الحصول على ما تريد.

أعط مزيدًا من الاهتمام "للاحتياجات" وليس "للرغبات".

٩ ضع بنفسك

قصة للبداية

إسعاد الآخرين هو إحدى دعوات الله السامية وتنفيذ ذلك على أرض الواقع يجلب فرحًا لا يخطر على بال بشر، هذا ما لاحظته أنا شخصيًا على الأقل.

أنا "أبفرودتس".

بدأت كنيستنا في فيلبي بعدد قليل من الناس: "ليديا" وبيتها مع عدد من أصدقائها الذين اعتادوا على الاجتماع بصورة منتظمة للصلاة، سجان فيلبي وأسرته، وآخرون. ونجح هذا العدد المحدود بكلماته المخلصة ومحبته العملية في جذب بعضٍ منا إلى الإيمان وبدأنا نتبع الرب يسوع.

كلنا نكن درجة كبيرة من الاحترام للرسول "بولس" فقد أرسله الله ليجمع أوائل المؤمنين معًا هنا. لم ننس هذا قط وكلنا نعتبره أبانا الروحي. عندما سمعنا أنهم نقلوه إلى سجن بروما تعاطفنا معه بشدة، فقد شرح لنا السجان ظروف السجن هناك وعرفنا أن الحكومة الرومانية لا تسدد الاحتياجات الجسدية للمساجين لذا كان لابد على أصدقاء "بولس" أن يحيطوا به ويلازموه. واعتبرنا أنفسنا من ضمن الذين يشعرون بمسئولية توفير احتياجاته.

شعرنا بسعادة غامرة بالطريقة التي فتح بها روح الله قلوبنا وأكياس نقودنا. لم

يعط القديسون مجرد عملات معدنية فاضت عن احتياجاتهم بل أعطوا بسخاء وحرموا أنفسهم من أشياء عديدة حتى تكون العطية التي ستصل لـ "بولس" عطية سخية، وكانت لمسة مؤثرة ما شارك به العبيد الموجودون بيننا، فالبعض كان يوفر ويقتر على نفسه حتى يشتري حريته لكنهم أحضروا ما لديهم وأضافوه على العطية مضحين بحريتهم لأخيهم المقيد بسلاسل.

وأخيرًا انتهت مرحلة جمع العطايا. يا له من فرح غمر قلوبنا بالقدرة على الاشتراك في هذه القضية النبيلة، لكن مهمتنا أوشكت على البدء إذ لا زال علينا توصيل العطية لـ "بولس". السفر إلى روما يستغرق سبعة أسابيع وحتى لو اختصرنا ما جمعناه إلى عدد قليل من العملات الذهبية فلا يزال الحمل ثقيلاً نوعًا ما هذا بالإضافة إلى أخطار الرحلة نفسها لأن كيس النقود هذا مغري لأي حرامي. وما أن يصل حامل العطية إلى روما ويبدأ في الاستفسار عن كيفية الوصول إلى رجل محكوم عليه بالإعدام سوف يثير أمره العديد من الشكوك.

أشعر بالخجل وأنا أقول هذا، لكن الاختيار وقع عليّ لتوصيل تلك العطية لـ"بولس". لست متأكدًا من الأسباب لكن غالبًا حجم جسمي له علاقة بالموضوع. لا يسعفني الوقت لسرد كل تفاصيل الرحلة. هلا نؤجلها لفرصة أخرى؟

كان الوقت الذي قضيته مع "بولس" من أسعد أوقات حياتي. آلمني في البداية مشهد صديقي القديم محبوسًا ومحاطًا بالحرس لكني سرعان ما اكتشفت أن السجن لم ينجح في إذلاله. يا له من رجل عظيم! شعر بفرحة طاغية بالعطية، فهو يعرف ظروف كنيستنا جيدًا ويعرف أننا لسنا مجموعة غنية. وبكى أمام الجميع لأنه علم بالتضحية التي قام بها إخوته وأخواته ليسددوا احتياجاته. وبدأ على الفور كتابة رسالة يعبر فيها عن شكره لهم.

لم أتوقع أن أكون الشخص الذي سيُسلم الرسالة لأني اعتزمت المكوث

مع "بولس" حتى النهاية كعطية شخصية مني له لكني مرضت مرضًا خطيرًا، حتى "بولس" نفسه ظن أني سأموت. لكن سرعان ما استرددت صحتي وصرت قادرًا على السفر فطلب مني العودة بالرسالة إذ أراد أن أكون أول مَن يقدم تقريرًا مباشرًا بأني لم أمت. (الإشاعات كانت بدأت تنتشر!).

قرأت بالأمس رسالة "بولس" على الكنيسة وسهرنا حتى بعد منتصف الليل أجاوب على أسئلتهم. كان الفرح قد أنهك قوانا حين قرر كل منا الذهاب إلى بيته. لقد استخدمنا الله للمشاركة في عمله من خلال خادمه وسبب لنا ذلك فرحًا عظيمًا.

ما الذي نتكلم عنه؟

مفهوم التضحية له جانبان متوازيان: عام وخاص. التضحية "الخاصة" تشير إلى بذل الحياة (عادة يكون "حيوان" ويقدم بالطريقة التقليدية عن طريق النار) لإرضاء آلهة معينة. التضحية "العامة" تعني التخلي عن شيء غال وثمين أو ميزة معينة لصالح شخص آخر. موضوع حديثنا سوف يركز على الجانب العام من التنازل عن شيء له قيمة معينة لصالح شخص آخر وسوف نلاحظ أن هذا النوع من إيثار الغير يمجد الله في الوقت نفسه.

الأساس الكتابي

سأختار جزءًا من كلمة الله يصلح خلفية لموضوعنا وهو مرقس ١٢: ٤١-٤٤ حيث نقرأ:

> "وجلس يسوع تجاه الخزانة ونظر كيف يلقي الجمع نحاسًا في الخزانة. كان أغنياء كثيرون يلقون كثيراً. فجاءت أرملة فقيرة وألقت فلسين قيمتهما ربع. فدعا تلاميذه وقال لهم

الحق أقول لكم أن هذه الأرملة الفقيرة قد ألقت أكثر من
جميع الذين ألقوا في الخزانة. لأن الجميع من فضلتهم ألقوا.
وأما هذه فمن أعوازها ألقت كل ما عندها كل معيشتها"

(مرقس ١٢: ٤١ -٤٤)

ينبهنا هذا المقطع إلى أن حجم التقدمة ليس هو الذي يعطيها قيمة لكن الروح التي تقدمها. تقدمة كتقدمة الأرملة تدفعنا لاختبار الاتكال الحقيقي على الله. أن نعطي ما لا نحتاجه شيء، وأن نتخلى عن ما نستند عليه شيء آخر. لو قرأت قصص حياة المرسلين الذين عاشوا في أوائل ومنتصف القرن التاسع عشر ستجد أن بعضهم تخلى عن ثروات حرفية ومهن مربحة ملقين أنفسهم بالكامل على الله بالذهاب إلى المجهول. وكثيرون منهم ضحوا بأموالهم وعلاقاتهم وحتى بحياتهم لأنهم آمنوا أن تحقيق مقاصد الله على الأرض قيمته تفوق أي شيء آخر عرفته البشرية.

استكشاف معنى التضحية

في النصف الأول من القرن العشرين نادى الكنديون بشعار "الله والملك والوطن". هذه كانت الأولويات التي كان هذا الشعب على استعداد للتضحية من أجلها كالذهاب إلى الحرب مثلاً والتضحية بحياتهم إذا لزم الأمر. في عام ٢٠١٠ نشرت مجلة "ماكلين" MacLean's Magazine استجابة الناس ورد فعلهم تجاه استفتاء جديد عن أقوى سبب يدفع الكنديين للتضحية بحياتهم لأجله. ٨٣٪ قالوا أنهم على استعداد للموت لأجل عائلاتهم و٣٢٪ قالوا لأجل بلدهم و٢٨٪ لأجل الله. اقرأ مجلة "ماكلين". صحيح أن التضحية بالموت لصالح الآخرين شيء مشرف وجدير بالاحترام إلا أن الحياة التي تتميز بالبذل والعطاء تعد تحديًا أعظم.

في العهد القديم تتكلم التضحية بصورة شبه دائمة عن الذبائح الحيوانية. التخلي عن أفضل الحيوانات في أي مجتمع زراعي يرمز بصورة قوية إلى نظرتك لله ودرجة اتكالك عليه. في تلك الأيام قبل ظهور شركات البذور العالمية كان الفلاحون يحتفظون بأفضل البذور والبهائم لتسميد الأرض وإنتاج سلالات جيدة مما كان يضمن استمرار أفضل الأنواع الممكنة للأجيال القادمة. لذا تقديم أفضل ما لديك لله يعد ذبيحة أو تضحية عملية وتعبيرًا رمزيًا عن الإيمان. كان بنو إسرائيل يعلنون عن ثقتهم بالله في كل مرة يقدمون فيها حيوانًا ممتازًا كذبيحة. الحيوانات التي كان بها عيب لم تكن مقبولة كذبائح وهناك أجزاء كثيرة في العهد القديم تحذر من غضب الله من تقديم أي شيء معيوب.

التضحية تساعدنا على:
اختبار الاتكال الحقيقي على الله فيما يتعدى الأمور المالية، بمعنى أي شيء يتعلق براحتك ونومك ووقتك الخصوصي وسمعتك وعملك وسلامتك أو أي شيء آخر تعتز به.
اختبار معونة الله المعجزية.
إخراجنا خارج نطاق راحتنا المادية.
التنازل عن آمالنا وأحلامنا الأرضية واستبدالها ببركات روحية مستقبلية وغير ملموسة

بما أن الله سُر مرة واحدة وإلى الأبد بذبيحة المسيح إذًا فيمكننا طرح الذبائح الحيوانية جانبًا. فالغالبية العظمى منا لا تمتلك حتى حيوانًا واحدًا لكننا لدينا أشياء نعتز بها. عادة ما نربط الغنى المادي بالمال والاستثمارات والعقارات والأملاك لكن من الضروري على المؤمنين أن يضعوا في اعتبارهم أن الله سيرحب ببعض التضحيات غير المادية كالوقت والموهبة والخصوصية والسمعة.

تكلمنا في الفصل السابق عن البساطة لكن دعوني أذكركم أن التضحية تختلف عن البساطة فالأخيرة تلمس فقط الأمور التي نقول عنها "رفاهية" أو

"إضافية" أما التضحية فتذهب إلى أبعد من ذلك وتدعونا إلى مشاركة الأشياء التي نحن بحاجة حقيقية إليها ولا نستطيع الاستغناء عنها إلا بتعويض الله عنها.

كما أشرت منذ قليل التضحية الحقيقية تتجاوز أكثر من الأمور المالية، فقد تقترب من راحتك أو نومك أو خصوصياتك أو سمعتك أو عملك أو سلامتك أو أي شيء آخر تعتز به. التضحية المالية ليست التضحية الوحيدة التي تثير معونة الله المعجزية، فهو يمكنه أن يمدنا بقوة وصحة وراحة وأي شيء نحتاجه حين نترك مكان راحتنا خلفنا بأحلامه الأرضية أو نجاحاته المادية ونستبدلها بالباب الضيق ببركاته الروحية المستقبلية وغير الملموسة.

حالات السقوط المحتملة

من العدل والإنصاف أن أذكر أن التضحية مثلها مثل كل شيء آخر نعمله لإنعاش حياتنا الروحية لها بعض الجوانب السلبية. فمن الممكن استغلالها لإعطاء عدم المسئولية صبغة شرعية. أو ضغطها لتدخل نطاق الخدمة لاختبار الله أو التلاعب به. قد نظن "لو تنازلت عن هذا الشيء الغالي فالله سيعطيني ذاك الشيء الآخر الذي أريده". الأمر ليس هكذا، إننا نضل أنفسنا. هذه ليست تضحية على الإطلاق بل محاولة للتحكم والسيطرة. ما نتنازل عنه لاستبداله بمنفعة مادية أو مجد أو مدح أو نفوذ اجتماعي لا يستحق أن نطلق عليه كلمة "تضحية".

كلمة مشجعة

كيف نبدأ إذًا؟

افحص مبادئك ومصادر سلامتك. التضحية ستكلفك كثيرًا لذا انظر إلى أكثر الأشياء الغالية على قلبك وحدد ما يمكنك الاستغناء عنه. تذكر أنه ليس بالضرورة أن يكون أمرًا ماليًا، فقد يكون مثلاً الوقت المطلوب لتعلم مهارة تود

أن تنميها أو فترة راحتك التي تحب أن تقضيها بالمنزل بينما هناك أناس بالشارع بمقدورك تقديم خدمة لهم. ثم اسأل الله أن يريك شيئًا يريدك أن تأتمنه عليه هو وحده. لو لديك رغبة صادقة للتضحية فسوف يعلن لك الله إرادته.

صلِّ كي يفتح الله قلبك للاحتياجات المحيطة بك وكلها قريبة منك جدًا. ثم استعد نفسيًا بتحديد الاحتياجات الموجودة حولك وفكر ماذا يتطلب الأمر لتلبيتها ولو حتى جزئيًا. حين تجد علاقة بين احتياج ما وبين إمكانياتك افعل شيئًا حيالها.

وأخيرًا لا تتلكأ منتظرًا كلمة شكر.

١٠ كن كريمًا

قصة للبداية

غريب أمر الشهرة في حياتنا، تبدأ فجأة ثم تلتصق بالمرء مدى الحياة. ولكنه أمر مخجل حقًا عندما تُبنى السُمعة على ميزة معينة يتفق عليها الجميع بينما يدرك صاحبها عيوبه تمامًا ويرى الأمور بنظرة تختلف عن نظرة الباقين. أنا "يوسف" وشهرتي "برنابا".

لم يكن في نيتي أن أكون بارزًا بين الناس، فما عمله الآخرون لا يقل عما عملته أنا. جماعة المؤمنين الجديدة بالمسيا كانت تسعى لتثبيت أقدامها في أورشليم وأنا كان لديّ حقل لم أكن مهتمًا به من قبل ولا حتى لديّ وقت للاهتمام به أصلاً. فكان من المنطقي أن أبيعه وأستثمر العائد في شيء لي اهتمام كبير به وبالتالي أعطيته كل وقتي المتاح.

أسعدني أن أعطي ما نتج عن بيع الحقل للرسل وقال لي أحدهم: "أيها الأخ العزيز يوسف، لقد كنت مصدر عزاء كبير للكنيسة كلها في أورشليم". ثم سرعان ما عُرفت باسم "برنابا"، ابن الوعظ. وخلال فترة قصيرة نسي الجميع اسمي الحقيقي ولم يعودوا يستخدمون إلا اسم الشهرة هذا.

أشعر بالخجل لمدحهم لي على شيء يعد جزءًا من طبيعتي ومن عمل الروح

القدس. لا أستطيع القول أني كنت مضطرًا لبذل مجهود ضخم لأكون بهذا الكرم. لم أكن مطلقًا "رجلاً ثريًا" وما أن بعت الحقل لم أعد أمتلك شيئًا ذا قيمة إلا وقتي لذا استغللته في مساعدة إخوتي وأخواتي. إنني أحب أن أستثمر وقتي في تقويمهم في طرق الرب يسوع وتقديم كل العون لهم حتى ينضجوا روحيًا.

لم أجد ولو قدرًا قليلاً من اللذة في تأثيري على "بولس". عندما بدأت الخدمة معه كان لا يزال متأثرًا بالخلفية الفريسية. محاولة القضاء على تلك "الخصلة" كان يثير الضحك بيني وبين بعض الأصدقاء لكنه أمر أسعدني جدًا. (رغم حرصي الدائم على عدم إحباطه أو إحراجه ولو حتى سرًا). لقد عانى كثيرًا ليتخلص من قبضة الناموس ويقبل النعمة! كنت أخشى ألا يتغلب على الأمر أبدًا. لكن دعوني أعترف سريعًا أن انتصاره في هذا الخصوص لا يرجع فقط إلى مجهوداتي معه بل أنا سعيد لأن الله استخدمني للعب دور صغير في هذه الناحية.

صحيح أن علاقتي مع "بولس" كانت من ضمن الأشياء التي أسعدتني كثيرًا في حياتي لكنها أيضًا جلبت لي ألمًا شديدًا. لا أستطيع أن أصف لكم مدى حزني بسبب المشادة التي حدثت بيننا على "يوحنا مرقس". (لا تزال بعض تلك المناقشات الساخنة عالقة في ذاكرتي رغم أني لا أحمل له أي ضغينة). كل ما كنت أريده هو أن أعمل لذلك الشاب الصغير نفس ما عملته لأجل "بولس" نفسه.

كنت أرى مواهب عظيمة فيه وأردت أن أقدمه للقيادات الداخلية للكنيسة حتى يعرفوه ويعطوا له الفرصة ليمارس مواهبه. لكن "بولس" بطريقة ما نسي خطوات بلوغ مكانه المتقدم في الخدمة. أو ربما رأى ضعفاته منعكسة في "يوحنا مرقس" مما أضاف من مشاعره السلبية. من غير روح الله يعرف مثل تلك الأمور؟

كل شيء نسيناه ووضعناه خلفنا الآن. رغم أننا افترقنا بسبب هذا الموضوع منذ فترة طويلة وفقدنا سنوات من الشركة معًا إلا أن الله كان كريمًا وأعطانا

بركات لا بأس بها على مجهوداتنا في الخدمة. فلقد زادت شهرة "بولس" مع سفرياته المتعددة وبدأ "لوقا" الكتابة عن نمو الكنيسة. وهذا العمل يحتوي على تفاصيل كثيرة من حياة "بولس" وشركاء خدمته.

أنا سعيد أنني أضفت خبرة بعض السنوات على "يوحنا مرقس" ولا أستطيع وصف سعادتي عندما أبلغني "تيموثاوس" بأن "بولس" طلب من "مرقس" الذهاب إلى روما لخدمته. وفهمت أيضًا أن اسمي ظهر في بعض رسائل "بولس" التي كتبها للكنائس، أظن أنه تعلم عن الكرم أكثر مما تصورت.

أما بالنسبة لي، رغم أني أعرف أني أتقدم في السن وأفضل السنوات أصبحت الآن خلفي إلا أني لاحظت شابًا صغيرًا آخر أحب أن أستثمر وقتي معه.

ما الذي نتكلم عنه؟

الكرم يعني العطاء لذلك يتصل اتصالاً وثيقًا بالبساطة والتضحية، كما يعني التحرر من البخل والتقتير ويمتد إلى ما وراء الحد الأدنى لتسديد الاحتياجات المباشرة حتى يصل إلى حد الوفرة والفيض.

"الكرم الحقيقي هو فعل شيء لطيف لشخص
لن يعرف أبدًا به"[١]

الأساس الكتابي

الكتاب المقدس قال الكثير عن الكرم ولو بدأنا من العهد القديم سنجد أن شعب الله مدعو ليعطي بكرم للرب. مكتوب في سفر الخروج:

"خذوا من عندكم تقدمة للرب. كل من قلبه سموح فليأت بتقدمة الرب"

(خروج ٣٥: ٥)

---

١ Clark, Frank A.—http://thinkexist.com/quotation/real-generosity-is-doing-something-nice-for/406611.html

لئلا يوجد بيننا من هو غير متأ كد من تقديم ما هو جدير بالتقدمة فإليك القائمة التي تبدأ بالذهب والفضة والنحاس وتتضمن أفخر أنواع الأقمشة والأخشاب والأطياب والحجارة الكريمة.

العهد الجديد يرتكز على إشارات العهد القديم إلى الكرم في تقديم الأشياء المادية كما يحتوي على إشارات تدعونا لنكون كرماء في محبتنا أيضًا.

"وكل من سألك فأعطه. ومن أخذ الذي لك فلا تطالبه. وكما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم أيضًا بهم هكذا. وإن أحببتم الذين يحبونكم فأي فضل لكم. فإن الخطاة أيضًا يحبون الذين يحبونهم. وإذا أحسنتم إلى الذين يحسنون إليكم فأي فضل لكم. فإن الخطاة أيضًا يفعلون هكذا. وإن أقرضتم الذين ترجون أن تستردوا منهم فأي فضل لكم. فإن الخطاة أيضًا يقرضون الخطاة لكي يستردوا منهم المثل. بل أحبوا أعداءكم وأحسنوا أقرضوا وأنتم لا ترجون شيئًا فيكون أجركم عظيمًا وتكونوا بني العلي فإنه منعم على غير الشاكرين والأشرار. فكونوا رحماء كما أن أباكم أيضًا رحيم"

(لوقا ٦: ٣٠– ٣٦)

هناك مقاطع أخرى تلقي الضوء على كرم الله وسخائه في تقديم الخلاص للخطاة، فقد قال الرب يسوع لتلاميذه:

"وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل"

(يوحنا ١٠: ١٠)

وكتب "بولس" قائلاً:

"لأنه إن كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد فبالأولى

كثيرًا الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح"

(رومية ٥: ١٧)

ثم أضاف في نفس الرسالة هذه الوصية العملية:

"ولكن لنا مواهب مختلفة بحسب النعمة المعطاة لنا. أنبوة فبالنسبة إلى الإيمان. أم خدمة ففي الخدمة. أم المعلم ففي التعليم. أم الواعظ ففي الوعظ. المعطي فبسخاء. المدبر فباجتهاد. الراحم فبسرور"

(رومية ١٢: ٦– ٨)

استكشاف معنى الكرم

"جون ويسلي" John Wesley، المبشر الإنجليزي الشهير، تنسب إليه هذه النصيحة للمؤمنين:

"افعل كل الخير بقدر استطاعتك

بكل الوسائل بقدر استطاعتك

في كل الطرق بقدر استطاعتك

في كل مكان بقدر استطاعتك

في كل وقت بقدر استطاعتك

لجميع الناس بقدر استطاعتك

لأطول وقت ممكن بقدر استطاعتك"[٢]

[2] Wesley, John—http://thinkexist.com/quotation/do_all_the_good_you_can-by_all_the_means_you_can/148152.html

قدم ذات مرة الكاتب الألماني العظيم "يوهان وولفجانج فان جوخ" Johann Wolfgang von Goethe هذه الفكرة:

"كن سخيًا في الكلام اللطيف خاصة عن الغائبين"

إليك فكرة صغيرة رائعة أخرى لا أعرف مَن صاحبها ولكني قرأتها في الموقع الإلكتروني لجريدة Whitestone Journal: "إنه أمر مضحك لكن حزين في نفس الوقت. كل منا تقريبًا متوهم بأن "وقتي ملكي". هذا غير صحيح. كل شيء ملك لله وهو كريم جدًا في مسألة الوقت فقد أعطانا قدرًا كبيرًا منه لكن ينتظر مقابل ذلك. عندما نقول أن ليس لدينا الوقت لقراءة كلمة الله أو للتطوع لعمل خدمة معينة أو للجلوس مع الأطفال فإننا نكذب. كلنا نضيع الوقت. لو استخدمنا كل الوقت الضائع بطريقة مثمرة سنكون أكثر فاعلية في حياتنا. أولى خطوات الكرم في الوقت هي الإقرار بأن وقتنا ليس ملكًا لنا بل عطية من الله الهدف منها أن نتقاسمها مع الآخرين"[٣].

الكرم يساعدنا على:
التمتع بنعمة الله في حياتنا.
أن نكون بركة للآخرين.
الشكر والسجود.
التحرر من الميل البشري للتخزين.

من الأسباب القوية التي تدعونا للكرم والسخاء هي إيجاد الفرصة لأن نكون بركة للآخرين. يا له من امتياز رائع! يهتم الكثيرون للأسف بتدفق الطاقة من الآخرين لأنفسهم ويسرعون في الملاحظة حين لا يشارك الآخرون في إسعادهم. الروح الكريمة تهتم أكثر بالعطاء المتجه نحو الطرف الآخر ولذلك تتيح لنا أن نعيش متمتعين بنعمة الله في حياتنا.

وكما قال الرب يسوع:

"مجانًا أخذتم مجانًا أعطوا"

(متى ١٠: ٨)

Unknown—http://whitestonejournal.com/index.php/articles-index/38-articles/173-generosity 3

عندما نعطي بسخاء للآخرين، خاصة لو في الخفاء، فإننا بذلك نثير روح الشكر والسجود. لا أستطيع إحصاء عدد المرات التي فوجئت فيها ببركات عديدة من كل الأنواع أخرجت كلمات الشكر والحمد من فمي بصورة لم أتوقعها أنا نفسي. وقبل أن أنسى، أود أن أضيف أن الكرم يحررنا من الميل البشري للتخزين. صحيح أن بعضنا يعاني منه أكثر من البعض الآخر لكني اكتشفت أنه إحدى نقاط الضعف التي تزيد أو تقل عند كل واحد منا.

"قيمة الكرم ليست في المبلغ المعطى
بل في الطريقة التي يُعطى بها"[٤]

إليك بعض النصائح العملية لأشجعك على البدء:

في البداية قد تحتاج للتخطيط لتكون كريمًا (خاصة لو كنت تميل لتخزين الأشياء).

سنتناول في مرة أخرى العطاء في الخفاء لكن حاول أن تكون كريمًا في السر حتى لا تندفع إلى انتظار كلمات الشكر. هناك حرية وفرح في العطاء سرًا رغم أنه ليس من الطبيعي أن نعطي للآخرين بدون انتظار أي كلمة شكر.

تذكر أن تكون كريمًا في وقتك واهتمامك كما أنك كريم في مالك وممتلكاتك. أحيانًا يكون الآخرون بحاجة إلينا أكثر من حاجتهم للأشياء التي باستطاعتنا إعطاؤها لهم.

هناك نقطة أخيرة لكن صعبة خاصة لمن يعشق الأفعال. لا تنس أن تكون كريمًا مع أقرب الناس إليك. كثير منا يفشل في هذه المسألة حين يتعلق الأمر بالكرم في المنزل، خطط لأن تكون كريمًا لمن تدعي أنك تحبهم.

[٤] Unknown—http://www.wow٤u.com/qgenerosity/index.html

حالات السقوط المحتملة

في تعجلنا لأن نكون كرماء قد نتصرف بعدم مسئولية بالنسبة للالتزامات الشرعية. إننا نعيش في مجتمع تسود فيه ثقافة الدين وكروت الائتمان لكن لا يمكنني تخيل موقف يكون من الحكمة فيه أن نوقع أنفسنا في الديون لنكون كرماء. لو أنهكت مواردك المالية فكن كريمًا في وقتك أو مواهبك أو أملاكك الموجودة.

الكرم قد يتسم بالتهور والاندفاع، لو بدأنا نكون كرماء في أشياء تخص الآخرين. أقصد بصفة خاصة الثروة أو الموارد العائلية، من الممكن للأب أو للأم التقصير في حق الأبناء بسبب كرم لا مبرر له، لكل أفراد الأسرة حق في تلك الموارد. كن كريمًا كما تشاء في كل ما أنت موكل عليه لكن تجنب ظلم الآخرين لتكون كريمًا.

كلمة مشجعة

من كل الأشياء التي يمكننا القيام بها وتجعلنا أقل من الله بدرجة بسيطة هي الكرم. لأننا لسنا الله، الذي يتمتع بموارد لا حدود لها، فإننا نعلم أن أي شيء نتنازل عنه يقلل من شأننا أو يتسبب في حرماننا من شيء ما. هذا حقيقي في العالم المادي لكن في العالم الروحي فإننا متصلون بالله، نفسه، مصدر الحياة. موارده لا تنضب أبدًا وهو يسكب بركاته علينا فهو في غنى دائم.

أحب أن أستخدم صورة بسيطة لمساعدة الناس على فهم ذلك. لدينا في مزرعتنا خزان وبئر. عندما أسحب الماء من الخزان تتبقى كمية قليلة منه وإذا ظللت أسحب الماء سيفرغ في النهاية. لكن عندما أسحب الماء من البئر (يمتد إلى عمق ٩٠ قدمًا) لا ينخفض مستوى المياه فيه لأنه موصل بالنظام الهيدرولوجي الأرضي. ظللت أضخ الماء من ذلك البئر لمدة أربعة

أسابيع متصلة لأملأ بحيرة المزرعة ولم ينفد الماء منه. من الواضح أن مخزون المياه الجوفية يتجدد أسرع مما لو حاولت شفط الماء بمضخة أو خرطوم.

لو استغللت كل فرصة لتكون كريمًا فيها مع مَن حولك
بطرق غير مادية فسيرى الآخرون نور الآب
ساطعًا من عينيك.

١١ أخف بعض الأسرار

قصة للبداية

يحلم الكثيرون بأن يولدوا في عائلة غنية تتمتع بنفوذ قوي ويتمادى بعضهم في حلمه فيحلم بأن يكون أميرًا. أشك أنهم فكروا ولو قليلاً في الضغوط المصاحبة لمثل ذلك الامتياز. هل يتخيلون أنفسهم ممزقين بين ولائهم الملكي لرجل مجنون وبين الولاء الخائن لصديق؟ لقد مررت بتلك التجربة.

أنا "يوناثان"، ابن "شاول" وصديق "داود".

"داود" كان لي أكثر من أخ وصرنا من أفضل الأصدقاء بعدما أحضره أبي إلى البلاط الملكي. وحظينا في صبانا بشهور ممتعة من الرفقة الخالية من الهموم والأحزان كما استمتعنا معًا بالتدريب وصقل قدراتنا القتالية. سيحمل كل منا إلى قبره عددًا لا بأس به من الندوب بسبب مباريات القتال الحادة التي كنا نقيمها معًا لكن للحق كان الأمر يستحق ذلك العناء.

كان سلوك أبي يزداد غرابة يومًا بعد يوم، فقد كان يعاني من القلق وتنتابه نوبات شديدة من الغضب رغم عدم حدوث شيء يمكن أن يُرى بالعيان يثيره وصار كئيبًا وغامضًا ومنعزلاً. كما ضاعف الحراس من حوله مع أنه لم يكن مهددًا من أحد. وكان يستدعي المغنين والراقصين لتهدئة أعصابه ثم يطردهم صارخًا

فيهم قبل الانتهاء من فقراتهم. وأصر على حمل رمح بيده طوال الوقت وكان من الممكن أن يرميه صوب أي شخص دفعه حظه التعسً لأن يفعل شيئًا يغضبه.

النقطة الحاسمة، بالنسبة لي، جاءت عندما كان "داود" يعزف لأبي على قيثارته ذات العشرة أوتار. رغم أن "داود" كان يعزف له كل يوم إلا أنهم استدعوه وقتها من طلوع الشمس. الملك لم ينم طوال الليل قلقًا ومعذبًا من مخاوفه. بدأ "داود" يعزف أغنية عن بطولات ملك ما في ميدان القتال، أعتقد أنها ذكرت أبي بأغنية أخرى تقول قتل "شاول" ألوفًا و"داود" ربوات غنتها البنات اللواتي لم يبذلن مجهودًا لاخفاء إعجابهن بالبطل الصغير.

في نوبة من نوبات غضبه صوب الملك رمحه الذي يحمله دائمًا نحو "داود" الذي أنقذ حياته، وكان رد فعله السريع كالبرق. صرخ فيه أبي ليبقى لكن "داود" أسرع بالهروب إلى البستان الذي كنا نتمرن فيه على القتال. قابلته هناك وتعهدت له بصداقتي بغض النظر عما ستكلفني.

ازدادت تقلبات أبي المزاجية سوءًا بمرور الأيام، لم يعد أحد يعرف ما قد يبدر منه في أي لحظة. صحيح أنه كان يتكلم أحيانًا عن "داود" بمحبة وإعجاب إلا أني لم أعد أثق فيه وكنت أقدم الأعذار حين يسأل عن صديقي وأخفي أماكن تواجده حتى أني تعرضت مرة لغضب أبي ورمحه.

كانت مسألة وقت بعد ذلك. مرات كنت أعرف الأماكن التي يختبيء فيها "داود" ومرات لا، لكني لم أخبر أبي أبدًا عنها وتوقفت عن الكلام عن صديقي. لم أود شد الانتباه إليه لأن بغضة أبي له كانت شديدة ومدمرة فكلما كانت تأتي سيرة "داود" كان يبدأ التخطيط للقبض عليه وقتله.

لا تبدو الأمور اليوم في أحسن حال. فقد استغل أعداء أبي انشغاله بـ"داود" وحشدوا جيشًا ضخمًا. وحين أتى الرسول بالأخبار ترك أبي البحث عن "داود" للرد على التهديدات الوطنية. لذا نركز كل انتباهنا عليها الآن.

سيكون القتال بلا شك على أوجه لكن لابد أن نقف أنا وإخوتي في صف أبي. لو عملنا غير ذلك لاعتبر تصرفنا خائنًا أو جبانًا. لو أردتم رأيي الشخصي، أشك أن الأمور ستتحسن. لم يعد لدينا إلا وقت قليل للاستعداد للحرب والسير إلى جلبوع غدًا، كنت متأكدًا من شيء واحد ونحن نتأهب للرحيل وهو أن صديقي مختبيء سرًا وفي أمان في مكان ما جنوب الجبال اليهودية.

ما الذي نتكلم عنه؟

السرية تعني شيئًا مخفيًا أو مستترًا وفي أفضل أشكالها عدم الكشف عن شيء ما. لا يوجد شر مثلاً حين لا تخبر أصدقاءك ماذا اشتريت لهم في عيد ميلادهم، حتى لو سألوك عنه فأنت لست تحت أي التزام أخلاقي للإفصاح عنه. لكن سرعان ما تنتقل السرية من هذه المرحلة إلى المرحلة التي تستلزم الخداع ثم تنتهي بالكذب الصريح لحماية سر معين. عندما يبدأ من له الحق الأدبي في المعرفة في طرح أسئلة محددة سيكون علينا الاختيار بين حماية السر مع الكذب (اختيار سيئ) أو قول الحق (اختيار جيد) لذلك نجد السرية محاطة بهالة من الغموض. إليك عينة من الأسئلة التي قد تسمعها: "لماذا يجب حفظ هذا السر؟" أو "هل هذا السر شرعي أم أنه يخفي شرًا أخلاقيًا؟"

عندما نبارك الآخرين سرًا يتدفق الامتنان المتولد في قلوبهم مباشرة نحو الله ولا يوجد مكان للكبرياء الإنساني ولا ينال الآخرون انطباعًا مبالغًا فيه عنا. ووقتها يرجع المجد كله لله. ماذا يمكن أن يكون أحسن من ذلك؟

عندما نبارك الآخرين سرًا يتدفق الامتنان المتولد في قلوبهم مباشرة نحو الله ولا يوجد مكان للكبرياء الإنساني ولا ينال الآخرون انطباعًا مبالغًا فيه عنا. ووقتها يرجع المجد كله لله. ماذا يمكن أن يكون أحسن من ذلك؟

الأساس الكتابي

أقوى تعبير عن السرية والكتمان الذي ينمي حياتنا الروحية جاء مباشرة من فم الرب يسوع المسيح حين قال:

> "احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكي ينظروكم. وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السموات. فمتى صنعت صدقة فلا تصوت قدامك بالبوق كما يفعل المراؤون في المجامع وفي الأزقة لكي يمجدوا من الناس. الحق أقول لكم أنهم قد استوفوا أجرهم. وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك. لكي تكون صدقتك في الخفاء. فأبوك الذي يرى في الخفاء هو يجازيك علانية"

(متى ٦: ١– ٤)

هناك أجزاء أخرى تتناول هذا الموضوع بصورة مباشرة وأجزاء ثانية تتعلق بالتواضع أكثر وتؤيد هذه العادة لكنها تكفي لإعطاء الكتاب المقدس السبق في استخدام فكرة الخفاء كطريقة ليتمجد بها الله فوق الجميع.

استكشاف معنى السرية

باستثناء حفلات أو هدايا أعياد الميلاد المفاجئة يعتبر الناس الكتمان ضروريًا فقط عندما يسوء الحال بطريقة ما لكنه من الناحية الأخرى ممكن أن يكون فضيلة عندما يُستخدم لشد الانتباه إلى الله وليس لأنفسنا. وهذا يناقض ميولنا الطبيعية لكن يتماشى مع الحياة الروحية الصحيحة.

الميل البشري الطبيعي يمارس السرية والكتمان عند الوقوع في الخطية والشفافية بهدف إظهار مزايانا، الشخصية الروحية الناضجة تتعامل مع هذا المسلك الطبيعي بصورة مختلفة. ونحن ننمو لنكون على شبه صورة المسيح

سنميل إلى إظهار أهمية السرية في أي شيء قد يجلب لنا قبول وتملق ومدح الناس. هذا ليس أسلوب "السير في العالم" لكن من شأنه أن يزيد من ثباتنا في "الملكوت". السرية مع بقية الطرق التسعة عشر الأخرى التي نتناولها في هذا الكتاب تبين الفرق بين ملكوت الله وملكوت هذا العالم.

هناك عدة أشياء تدفع التلميذ الحقيقي لممارسة السرية. أولاً، تحرره من الحاجة إلى القبول بين الناس وهذه قضية في غاية الأهمية في مجتمعنا حيث أصبح "نيل رضا من حولنا" و"تجنب لومهم" عاملين أساسيين للتقدم الاجتماعي لدرجة أن البعض يقع فريسة لإغراء الحصول على المدح على شيء لم يعمله بنفسه والاحتيال الصريح لتجنب تحمل مسئولية خطأ ارتكبوه. السرية تقطع الصلة بينا وبين نظام "يحلل" هذه الخطايا.

الرب يسوع أوضح أنه عندما نعمل شيئًا ليلاحظنا الناس وفعلاً ننجح في شد انتباههم فإننا نكون بذلك قد استوفينا أجرنا. لذا ضع هذا في بالك فربما تود أن تمارس السرية لاكتشاف الدوافع الحقيقية لتصرفاتك.

الميل البشري الطبيعي يمارس السرية والكتمان عند الوقوع في الخطية والشفافية لإظهار مميزاتنا

هل نعمل الخير حتى ننال إعجاب الآخرين؟

هل نعطي حتى نبدو كرماء في عيونهم؟

هل نصلي حتى يروننا روحيين؟

السرية تساعدنا أيضًا على معرفة أننا محبوبون لأن الله اختار أن يحبنا وليس على أساس قدرتنا على عمل شيء. يتحير بعض المؤمنين ويظنون أن مقياس محبة الله لهم هو رضا وتقدير الناس الذين يخدمونهم. لو لم يعرف من حولي أنني سبب بركة لهم فلن يشكروني وهذا من شأنه توضيح ذلك التخبط أو الالتباس الذي يقع فيه بعض الخدام.

السرية لا تقوم على النتائج بقدر ما تقوم على الدوافع. الأعمال الخيرية والتضحيات التي نقوم بها قد تكون ملحوظة بطريقة ما إذ بعضها لا يمكن له أن يتم في الخفاء، على الأقل بالنسبة للمستفيد. السؤال المهم هو "هل كنت سأقوم بهذه الأعمال لو لديّ العلم بأنه لن يلاحظها أحد؟" هذا من المفترض أن يعرفك شيئًا عن نفسك.

هناك أسئلة أخرى ربما تحب أن تطرحها على نفسك أثناء رحلة استكشافك لدوافعك:

هل أحبط عندما لا يلاحظ أحد أعمالي الحالية؟

هل أحبط عندما ينسى الناس أو يتجاهلون أعمالي الماضية؟

هل أتضايق عندما ينال شخص آخر المديح على أفكاري أو إنجازات قمت أنا بها؟

هل أنزعج عندما لا أنال التقدير المناسب على عمل قمت به؟

هل أقوم بعمل شيء حتى يراني الآخرون شخصًا روحيًا أو موهوبًا أو ماهرًا أو...؟

السرية تساعدنا على:
التحرر من الحاجة للحصول على القبول من الآخرين.
اكتشاف الدوافع الحقيقية لتصرفاتنا.

رغم أن السرية تدفعنا لعمل الخير في الخفاء إلا أننا لا يجب أن نخدع أو نغش الآخرين. لو تميزت دوافعنا بالطهارة والنقاء سنمجد الله ونكرمه ساعتها.

حالات السقوط المحتملة

احذر من حالتين فقط. يحب الشيطان أن يشوه أفضل الدوافع والأعمال لينزع

منها أي فائدة روحية وعندما ينجح في ذلك يخدعنا فيجذبنا لنخدمه في تمرده وعصيانه على الله. من المحزن أن نرى بعض المؤمنين يبدأون بقلوب نقية وأيادٍ طاهرة ثم ينخدعون وتشوه خدمتهم حتى ينتهي بهم الأمر بالعمل ضد أهدافهم السابقة.

في ضوء ما سبق، تجنب الإصابة بالخوف الزائد من اكتشاف أحدهم لتدريبك الروحي. الغرض ببساطة هو تجنب الانتباه الزائد لخدمتنا. لو أصبنا بهوس عمل الخير في الخفاء قد نقع في فخين. أولاً، يجب تجنب الهوس بالذات بأي ثمن (إنه أحد طرق إبليس المفضلة لإفساد المؤمنين) وثانيًا، يمكننا أن نتجاوز السرية فنصل إلى حد التشويه العلني. رغم أن دوافعنا صالحة لكننا نخطيء عندما نستخدم أدوات الشيطان للقيام بعمل الله. كل ما نهدف إليه هو إسناد الشكر والمجد لله فهو على أية حال الواهب لكل شيء. لو أعطانا النعمة لنشارك من لا يمتلك إلا القليل سيرجع إليه كل الشكر والحمد.

السرية تساعدنا على:

معرفة أننا محبوبون لأن اللّه اختار أن يحبنا وليس على أساس قدرتنا على عمل شيء.

نتعلم أن نحب الناس كما يحبهم اللّه، بدون أن نتأكد من استحقاقهم لمحبتنا وبدون انتظار المقابل.

التحرر من تبادل الخدمات.

إثارة الشعور بالشكر.

كلمة مشجعة

السرية تلعب دورًا إيجابيًا في تعليمنا كيف نحب الناس كما يحبهم الله، أي بدون أن نتأكد هل يستحقون محبتنا أم لا وبدون انتظار المقابل. وتحررنا من روح تبادل الخدمات السائد الآن. لكن أفضل شيء على الإطلاق هو أنها تثير فينا الشعور بالشكر والحمد. عندما ينال الناس البركة يرغبون تلقائيًا في التعبير

عن امتنانهم. لو عرفوا العامل البشري صاحب الفضل في حصولهم على تلك البركة سيشكرون ذلك الشخص مباشرة لكن لو لم يعرفوه فشكرهم وتقديرهم سيتجه إلى الله.

كلما تمجد اللّه أكثر كلما نلنا المزيد من البركات.

١٢ اكشف نفسك

قصة للبداية

علاقاتي مع أعضاء رابطة تجار ثياتيرا جعلتني أتبع أسلوب حياة ذات نطاق محدود. الناس الذين كنت أتعامل معهم تجاريًا كانوا دائمًا يخشون من سرقة الغرباء لأسرارهم التجارية ويلجأون لطقوس روحية مثيرة للاشمئزاز كوسيلة حماية لأنفسهم. أنا "ليديا" بائعة الأرجوان وأعيش في فيلبي.

شبكة تجارتي المتنامية جعلتني انتقل من ثياتيرا لأفتح دكانًا في فيلبي التي يمر بها العديد من البشر خاصة الرومان الذين يترددون عليها في مهام تجارية وعسكرية. إنهم يستخدمون أصباغي ذات الألوان الزاهية على ملابسهم ليتباهوا بثرائهم ومراكزهم في المناسبات المختلفة لذا تعد هذه المدينة أنسب مكانٍ لعملي.

بناء شبكة من العلاقات الاجتماعية كان من أوائل الأشياء التي عملتها فور وصولي، فلقد اخترت أصدقائي بعناية شديدة لأني أعد ظاهرة غريبة: امرأة غنية غير متزوجة هجرت العبادة التقليدية للآلهة الوثنية إلى عبادة الإله الواحد الحقيقي رغم أني لم أعرفه شخصيًا حتى وصولي هنا.

دعوني أحكي لكم قصتي التي أرويها بشغف لكل شخص هنا. ذات يوم

ذهبت مع عدد من صديقاتي إلى مكان هاديء عند النهر لنصلي. ما كان أحد ليزعج مجموعة نسوة تمارس شعائرهن الدينية في مكان منعزل، عادة لا أحد يقاطعنا في مثل هذا الوقت.

في ذلك اليوم بالذات جلسنا في دائرة على العشب نصلي – واحدة تلو الأخرى – لذلك الإله الذي لم نكن نعرفه ليعلن لنا عن شخصه. وعادة لا نلاحظ أحدًا من العابرين على الطريق لشدة تركيزنا في الصلاة لكننا يومها شعرنا بالقلق ونحن نشاهد عدة رجال تقترب منا بطريقة مريبة.

يقولون أن "الوقت يمر سريعًا في فيلبي" وأوافق على رأيهم في هذه النقطة. كانوا أولئك المسافرين اليهود يبحثون عن مكان هاديء للصلاة والتقوا بالصدفة بزوج إحدى صديقاتي الذي نصحهم بالذهاب عند النهر حيث سيجدون بعض النسوة تصلي. لم يكن من اللائق أن نقبل طلبهم بالانضمام إلينا وبعدها بفترة قصيرة شعرنا بالسعادة لأننا لم نفعل ذلك. سرعان ما بدأوا يصلون وشعرنا أنهم يعرفون الإله الذي كنا نبحث عنه.

عندما انتهينا طلبت من "بولس"، قائد المجموعة، أن يخبرنا عن الرب يسوع الذي كانوا يصلون باسمه. للاختصار، قلبي –الذي فتحه الله كما قلت لكم سابقًا– تجاوب فورًا مع ذلك الحق الذي كنت أنتظره بفارغ الصبر.

أعلنت إيماني وشرح "بولس" على الفور معنى معمودية الماء. كنت دائمًا ألتزم الحذر الشديد فيما يخص أي طقوس دينية لكني بطريقة ما أردت تنفيذ تلك الخطوة بشدة. وعلى الفور أرسلت خادمتي "ميري" إلى البيت لتأتي لي بملابس أخرى ولدعوة من بالبيت للانضمام إلينا.

استمر "بولس" في حديثه حتى وصول أهل بيتي كلهم، فهو يتفوق في الكلام على أي شخص رأيته من قبل. وطلبت منه أن يخبرهم عن الرب يسوع وانسحبت لإعداد نفسي للمعمودية. كم كانت لحظة جميلة ومؤثرة حين وجدت

أن الله عمل في قلوبهم هم أيضًا واعتمدنا كلنا في النهاية. هذا اليوم كان أسعد أيام حياتي.

وكانت رحلة عودتنا إلى المنزل مليئة بالفرحة والبهجة. دعوت "بولس" وأصدقاءه لاستخدام بعض الغرف الفارغة خلال إقامتهم في فيلبي وقبلوا عرضي بعد عقد مشاورات سريعة فيما بينهم.

أهملت عملي في الأيام القليلة التالية لأننا قضينا حرفيًا كل ساعات النهار في تعلم كل ما يمكن تعلمه عن الرب يسوع. يا له من أمر مشوق أن أتعرف أخيرًا على الشخص الذي جذب قلبي لنفسه. كم كانت فرحتي شديدة وأنا أفتح بيتي لخدامه وأتعلم من حكمتهم.

لقد وجدت راحة كبيرة في معرفة أن الإيمان المسيحي متاح للجميع ولا توجد به طقوس سرية مشعوذة.

ما الذي نتكلم عنه؟

قد يبدو أمرًا غريبًا أن نتكلم عن المكاشفة والصراحة في أعقاب حديثنا عن السرية. كيف يمكنك أن تمارس الاثنين في وقت واحد؟ دعني أشرح لك. على الرغم إننا نعمل على إخفاء الخير الذي نعمله حتى يعود المجد لله وحده فإننا لا نخفي عمل الله في حياتنا لنفس الهدف.

الصراحة تدعونا إلى نبذ الخطية السرية وحماية الذات والمواقف الدفاعية.

الصراحة أو المجاهرة تنطوي على الرغبة في اعتناق الحق والناس الذين يعترفون به. كما تدعونا إلى نبذ الخطية السرية وحماية الذات والمواقف الدفاعية. إننا بذلك ندعو الله ليعمل في حياتنا من خلال أي وسيلة يختارها ونفتح قلوبنا لتلك الوسائل سواء كانت مؤمنين أو خطاة أو بركات مادية أو رغبات جسدية.

الأساس الكتابي

ما يثير اهتمامي هنا هو أن الرسول "بولس" شعر أنه مضطر للكتابة إلى أصدقائه في كورنثوس عن هذا الموضوع. إذ يبدو أنهم أغلقوا قلوبهم لدرجة أنه عاتبهم قائلاً:

"اقبلونا. لم نظلم أحدًا. لم نفسد أحدًا. لم نطمع في أحد. لا أقول هذا لأجل دينونة. لأني قد قلت سابقًا أنكم في قلوبنا لنموت معكم ونعيش معكم"

(٢كورنثوس ٧: ٢ – ٣)

"فمنا مفتوح إليكم أيها الكورنثيون. قلبنا متسع. لستم متضيقين فينا بل متضيقين في أحشائكم. فجزاء لذلك أقول كما أولادي كونوا أنتم أيضًا متسعين"

(٢كورنثوس ٦: ١١ – ١٣)

في الواقع الكون كله مكشوف أمام الله. وحالتنا نحن الشخصية المكشوفة تقر بالواقع الفعلي وتضعنا في موقف يسمح لنا بالأخذ منه.

"وليس خليقة غير ظاهرة قدامه بل كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معه أمرنا"

(عبرانيين ٤: ١٣)

"هل يؤتى بسراج ليوضع تحت المكيال أو تحت السرير. أليس ليوضع على المنارة. لأنه ليس شيء خفي لا يظهر ولا صار مكتومًا إلا ليعلن. إن كان لأحد أذنان للسمع فليسمع"

(مرقس ٤: ٢١ – ٢٣)

استكشاف معنى الصراحة

في عالم حيث يكون الناس انطباعات سلبية على بعضهم البعض نجد أنه من الطبيعي أن نتعلم أن ننغلق على ذواتنا كوسيلة حماية نفسانية. للأسف يحدث هذا للبعض بصورة مأساوية في مرحلة مبكرة من حياتهم إذ يتعرضون للأذى وهم أطفال على يد أقرب الناس إليهم. أما بقيتنا فيأتي لنا هذا الانغلاق متأخرًا بعدما نختبر الألم العميق الذي قد يسببه لنا المحيطون بنا ونحن في أضعف حالاتنا.

المكاشفة تخلق البيئة الروحية المناسبة للنمو الروحي.

من الشائع لهذا الموقف الدفاعي أن يقيم عوائق أمام نمونا الروحي الذي يحدث عادة في لحظات الضعف عندما نفقد حذرنا ونتيح لروح الله أن يعلمنا ويرشدنا. لو أغلقنا قلوبنا بحكم العادة فإننا لا نسمح بحدوث هذا لكن ذلك لا يعني أن الروح القدس لا يستطيع اختراق أعماقنا ويعمل فيها لكن المقصود هو أننا نحزنه ونطفئه بقساوتنا مما يبطيء نمونا الروحي.

بما أن غرضنا هو إيجاد طرق لتعزيز نمونا الروحي فمن المنطقي أن نتعرف على الموانع التي تعوقه ونحاول إزالتها. المكاشفة هي حالة من الوضوح تستلزم أعمالاً وتصرفات واعية. فنختار أن ننفتح وننكشف بدلاً من الانغلاق على ذواتنا لحماية أنفسنا مما يخلق البيئة الروحية المناسبة للنمو الروحي. فالله يعمل في القلوب المفتوحة.

الجانب السلبي لهذا الأمر هو أنه بينما نفتح قلوبنا ونكشفها أمام الله فإنه من المحتمل أن نتعرض لأذى الآخرين سواء سببوه عن قصد أو بدون قصد. لأن هذا الأذى حقيقي وفوري فإنه يتغلب بسهولة على الفوائد التي نجنيها من نمونا الروحي. رد فعلنا على مشاعرنا المنغلقة يوقف عادة، أو على الأقل يقلل، الألم الذي نشعر به بصورة ملحوظة. هذا من شأنه أن يشعرنا بالارتياح لأن التأثير السلبي على حياتنا الروحية يزول سريعًا.

رأيت من خلال تجربتي الشخصية أن الله كثيرًا ما يستخدم أدوات بشرية ليجعلنا مشابهين لصورة ابنه. لو نحن مستعدون لاستقبال تعليم أو مشورة أو عتاب أو تحريض أو لوم من الآخرين (وهذا ليس بالضرورة محصورًا فقط على إخوتنا المؤمنين) سنرتقي بحياتنا الروحية بفضل الدور الذي يلعبونه في نمونا الروحي. لو كشفنا ذواتنا أمامهم سنكشف ذواتنا لله أيضًا.

المكاشفة تساعدنا على:
- تجنب الظهور بمظهر أفضل مما نحن عليه.
- الاستفادة من كلمات وحياة الآخرين.
- مشاركة الدروس الصعبة التي تعلمناها مع الآخرين.
- التواصل مع جسد المسيح على أعمق المستويات.
- تقوية علاقتنا مع اللّه دون أي ادعاءات من جانبنا.

حالات السقوط المحتملة

من المؤكد أنك فكرت كثيرًا في ضرورة تواجد بعض التوازن لو سنكاشف أنفسنا بدرجة تحقق الفائدة المرجوة دون التسبب في أي أذى. أوافقك الرأي. لابد من الحكمة. من الضروري أن نحترس من إيذاء الآخرين بصراحتنا وهذا قد يحدث عندما نتباهى بحريتنا المسيحية أمام مؤمنين ضعفاء وهكذا ندفعهم إلى الوقوع في الخطية. قد تصاب سمعة الآخرين بالضرر عند الإعلان عن مسامحتنا لهم على خطية معينة. الصفح عن الآخر أمر طيب لكن الإعلان عن خطيته شيء آخر. بعض الأمور من الأفضل الحفاظ على سريتها لأنه من السهل تشتيت الانتباه بالتفاهات الشخصية والابتعاد عن فوائد الاقتراب من قلب مفتوح أمام الله ومكشوف لهم.

الروح التنافسية التي تقود بعض المؤمنين إلى إخفاء عيوبهم والتباهي بانتصاراتهم هي نفسها التي تؤدي بالآخرين إلى نشر فضائحهم الروحية. في

بعض الأحيان تطفو المنافسة شبه المستترة على السطح حين يتشارك المؤمنون التفاصيل المؤسفة لخطية ما وقعوا فيها قبل أن ينتشلهم الله من "طين الحمأة ويقيم على صخرة أرجلهم". ما حدث قد حدث لمجد الله (ولدهشة من عاشوا حياة آمنة). اجعل شعارك دائمًا: "لا تخطيء وأنت مكشوف".

كلمة مشجعة

يُتهم المؤمنون في أحيان كثيرة بالزيف لأن الجميع يعرفون أن الخطية تمثل تحديًا ضخمًا حتى بالنسبة للشخصيات الأكثر حزمًا. التظاهر بأن دوافعنا الداخلية – إن لم تكن تصرفاتنا – لا تشوبها الخطية أمر كاذب. كم كان أمرًا يشعرني بالحيوية والانتعاش على مر السنوات الماضية حين كنت أقترب من أحد الشيوخ الذين ساروا مع الله ولهم علاقة وثيقة به وأسمعه يشجعني في حروبي الروحية ويحكي لي تجاربه.

التظاهر بأن دوافعنا الداخلية – إن لم تكن تصرفاتنا – لا تشوبها الخطية أمر كاذب.

نشدد التركيز على الاحتياج الشرعي لحماية أنفسنا وننسى أن تعلم العيش بحياة مكشوفة أمر يستحق بعض الألم. ربما لاحظت أنه رغم محاولاتك لحماية نفسك فإنك تتعرض لدرجات من الألم. الشيء المحزن هو أن هذا الألم يأتي بدون فائدة أو منفعة. لكن عندما نجمع بعض الندبات بسبب اختيارنا أن نعيش حياة مكشوفة سنختبر وقتها حلاوة البركة المصطحبة للألم.

كشف ذاتك أمام الله سيتطلب حتمًا أن تكشف ذاتك أمام الناس أيضًا. هذه فكرة مخيفة بالنسبة للبعض منا. لا تخف! البركات طويلة المدى التي تأتي من الحياة بقلب مفتوح تتجاوز المضايقات قصيرة المدى الناتجة عن النقد والكلمات الجارحة والتجاهل الاجتماعي الظالم.

الكل لا يأتي دفعة واحدة لكن دعني أشجعك بأن تبدأ بفتح قلبك لله وللآخرين. ستزداد حياتك غنى وسرعان ما ستكتشف أنه رغم دهشة البعض من أسلوب حياتك الجديد سوف ينجذبون إليك ويقتربون منك وستكون سبب بركة كبيرة لهم لأن علاقتك الوثيقة مع الله ستفيض عليهم.

١٣ تواصل مع الآخرين

قصة للبداية

نحن أسرة بسيطة تعمل بصيد السمك، أبي وأخي "يعقوب" وأنا. لا أستطيع تذكر وقت معين لا نستعد فيه للخروج إلى الصيد أو لا نصلح فيه الشباك على وجه المياه أو لا نبيع فيه ما اصطدنا من سمك. حياتي كانت تتكون من هذه الدورة البسيطة التي لا تكف عن التكرار. أنا "يوحنا" بن "زبدي".

دائرة حياتنا الاجتماعية انحصرت في الصيادين الآخرين وكيف لا ونحن فقدنا التواصل مع أي شخص آخر. نصطاد الليل بطوله ونبيع صيدنا في الصباح ثم نذهب إلى المنزل للراحة والنوم وعند غروب الشمس نستعد لقضاء ليلة أخرى مع الشباك وسط المياه.

لكن هذا لا يعني أننا كنا مستعبدين لمهنتنا أو أنها استحوذت علينا بالكامل. على الإطلاق! كنا نعرف كيف نستمتع بوقتنا. ظن البعض أننا جماعة تعيش حياة خشنة قاسية. ربما لأننا كنا مجموعة صغيرة تخرج في الوقت الذي يعود فيه الجميع وتقوم بعملها في الوقت الذي يستعد فيه الكل للنوم. ربما كنا نصدر ضجيجًا زائدًا بعض الشيء لكن في رأيي الشخصي هذه حساسية مفرطة من جانبهم.

أصبحت عضوًا في هذه الجماعة قبل أن أدرك. أخي "يعقوب"، الذي يكبرني بثلاث سنوات، كان دائمًا يساعد أبي وأنا كالأخ الأصغر لم أكن على استعداد للعيش في الظل فانضممت للرجال فور أن تركتني أمي أغيب عن نظرها. لا أتذكر إن كنت شعرت بالوحدة أبدًا. أعتقد أني كنت أجهل ما سأفعله وقتها.

صرت من الأصغر في جماعة الصيادين إلى الأصغر من بين تلاميذ يسوع. وعندما أعود بذاكرتي إلى الوراء أخجل من صغر سني وقلة خبرتي. فقد كنت رائدًا وأول مَن يبدأ المشاريع الجديدة وكان "يعقوب" يهب كالأخ الأكبر وينقذني من نفسي.

لا أعلم السبب لكن كل ما أذكره أن الرب يسوع في فترة ما بدأ يطلق عليّ وعلى أخي لقب "ابني الرعد". نالني نصيبًا من تلك الشهرة أكبر من أخي "يعقوب".

رغم أني لم أكن ناضجًا وقتها بدرجة كافية إلا أن الرب يسوع أحبني وقربني منه ولم يظهر أن بقية التلاميذ كانوا يعترضون على تلك العلاقة الوطيدة. ربما تصوروا أني لو ظللت على مقربة من الرب فذلك سيحفظني من الوقوع في المتاعب. في الواقع، كانوا على حق في تلك النقطة، فلقد كان له أشد التأثير عليّ لدرجة أني أهز رأسي عجبًا كلما تذكرت هذا.

ربما اختارني لأني صغير في السن وبالتالي سأعيش فترة أطول لأحمل رسالته للأجيال القادمة. بغض النظر عن أسبابه، أعترف أني حصلت على بركات عديدة بفضل الصداقة الوطيدة التي تمتعنا بها سويًا. تعلمت كثيرًا من مجرد قربي منه وليس من كلامه الذي لم يفتني حرفًا منه. كما تعلمت أيضًا من قلبه الذي ظهر بطرق متعددة لا يقدر أن يراه إلا شخص قريب منه مثلي بلمسة أو ظل ابتسامة أو نظرة محدقة.

معرفة الرب يسوع كانت الذروة التي وصلت إليها في حياتي الاجتماعية. من

أحضان عائلتي إلى جماعة الصيادين الجليليين المحدودة إلى الدائرة المقربة من التلاميذ الذين كان يسوع يثق فيهم، ساعدني ذلك على أن أرى أن حياتي كلها كانت تتميز بالعلاقات الوثيقة المتصلة.

إنه أمر يثير السخرية الآن. أفزع حين أتذكر أول مرة قضيتها لوحدي. كنت أصبحت رجلاً بالغًا. هربنا كلنا عندما ألقوا القبض على يسوع. لكن أنا و"بطرس" انتظرنا على مسافة قصيرة ثم تبعناهم وهم عائدون إلى المدينة إلى بيت رئيس الكهنة. لأني كنت معروفًا له ولخدامه استطعت إدخالنا الفناء واقتربت أكثر حتى أصبح بإمكاني سماع ما يدور لكن "بطرس" ظل واقفًا في الخارج.

عندما أخذوا الرب إلى "بيلاطس" نظرت حولي بحثًا عن "بطرس" ليصطحبني لكنه كان قد رحل. بينما كنت أجوب الشوارع بحثًا عن التلاميذ الآخرين كان إحساسي بالوحدة فظيعًا وغير محتمل. لم يمر عليّ وقت من قبل بدون صحبة وشعرت كأن الجميع تركوني. لم أجرؤ على تخيل كيف كان يسوع يشعر وقتها.

وأخيرًا ذهبت إلى البيت حيث كانت النساء مجتمعة، وشعرت بسعادة بالغة عند رؤيتهن! ظللت معهن حتى جاءنا الخبر أنهم أخذوا يسوع للصلب خارج المدينة. فأسرعنا إلى هناك وشاهدنا عملية الصلب من على بعد. لكن "مريم" أصرت على الاقتراب وطلب منا الرب أن يهتم كل منا بالآخر لعلمه بحاجة كل منا للانتماء والصحبة. ونفذنا وصيته حتى توفيت "مريم".

والآن أنا منفي على جزيرة ولا أملك إلا ذكريات علاقتي معه مما يصعب الأمر عليّ لأنني أدرك تمامًا ما فقدته. يا له من فرح عميق يأتي من صحبة بسيطة ورقيقة: ابتسامة دافئة، ضحكة صادقة، اهتمام متبادل، حوار من القلب للقلب. ورغم أني الآن أقضي وقتًا طويلاً بمفردي إلا أني أستمتع بالتفكير في تلك الأوقات السعيدة. ومؤخرًا أصبح الرب قريبًا مني جدًا مثل الأيام الخوالي. بدأت كتابة سفر آخر. أتمنى أن تتوفر لديك الفرصة لقراءته.

ما الذي نتكلم عنه؟

الشركة تحتوي على قواسم مشتركة ورفقة وصحبة، وتجدها فقط عندما يكون لبعض الأفراد اهتمام ما مشترك. بالنسبة للمؤمنين، الاهتمام المشترك هو الرب يسوع المسيح كالمخلص وكل شيء يتعلق به: تعاليمه ووصاياه وكنيسته وهكذا.

الشركة تتيح لنا أن نتمم الجوانب المؤسسة لإيماننا. فلا يوجد سابقة كتابية للمعمودية أو للعشاء الإلهي كممارسات فردية. إننا نتعلم من المؤمنين الآخرين ونستمد قوة منهم. إنني على ثقة بأن لو توقف الأمر عليّ لكنت يئست واستسلمت منذ فترة بعيدة لولا تشجيع المؤمنين الآخرين لي. هناك حقيقة أخرى مرتبطة بما سبق وهو أن كل منا يتشدد ويتقوى عندما يصبح جزءًا من مجتمع ما أكثر مما لو ظللنا أفرادًا كل على حدة. الشركة توفر لنا الفرص لخدمة المسيح وهو متجسد في المحيطين بنا وتعلمنا أن نتغلب على تشديد العالم على أهمية الانفرادية.

كل منا يتشدد ويتقوى عندما يصبح جزءًا من مجتمع ما أكثر مما لو ظللنا أفرادًا كل على حدة

الشركة نوعان، عالمي ومحلي. بمعنى أن جميع المؤمنين بكل مكان في شركة بعضهم مع بعض (بغض النظر عن طوائفهم) لكن هناك معنىً خاصًا للارتباط بين المؤمنين في مجتمع ما لأن لديهم الامتياز بالاجتماع معًا والتواصل والعمل سويًا من أجل الملكوت.

الأساس الكتابي

هناك عدة أجزاء كتابية تبرز معنى الشركة. بعضها يستخدم الكلمة عينها، والبعض الآخر يستخدم كلمات أخرى لها نفس المدلول.

"لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم"

(متى ١٨: ٢٠)

"كانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر
الخبز والصلوات"

(أعمال ٢: ٤٢)

"فإن كان وعظ ما في المسيح إن كانت تسلية ما للمحبة
إن كانت شركة ما في الروح إن كانت أحشاء ورأفة
فتمموا فرحي"

(فيلبي ٢: ١– ٢)

"ولكن إن سلكنا في النور كما هو في النور فلنا شركة بعضنا
مع بعض ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية"

(١يوحنا ١: ٧)

عاش الرب يسوع في شركة دائمة مع تلاميذه طوال حياته على الأرض باستثناء بعض الأوقات التي اختارها ليقضيها منفردًا مع الآب.

بعد صعوده وحلول الروح القدس يحمل كل مؤمن بداخله أو داخلها الله لكن... وهذا أمر في غاية الأهمية، الشركة تتيح لنا أن نختبر وجود المسيح في الاجتماع، شيء لا نستطيع أبدًا عمله من تلقاء أنفسنا.

المحبة التي نحملها لإخوتنا المؤمنين دليل على حقيقتنا التي نعترف بها: مسيحيين. من يجد الشركة مع المؤمنين أمرًا غير سار أو غير مثمر لابد أن يفعل كما يقول الكتاب:

"جربوا أنفسكم هل أنتم في الإيمان"

(٢كورنثوس ١٣: ٥)

استكشاف معنى الشركة

أكثر ما يفرحنا خلال تجاربنا في الحياة هو إمكانية مشاركتها مع الآخرين. كلمة الله تسمي تلك المشاركة "شركة". الشركة هي الوجه الآخر لعملة الوحدة. كل منها يحقق التوازن للآخر ويساعدنا على الاستمتاع بالآخر ويزودنا بالقوة المناسبة لممارسة الآخر.

أتعجب (وفي بعض الأحيان أضحك) من الاختلافات التي توجد بين الناس في جسد المسيح. يبدو أنهم يعيشون على طرفي النقيض في كل جانب من جوانب الحياة لكن معرفتهم ومحبتهم للرب يسوع تجذبهم وتجمعهم معًا لدرجة أنهم يضحون من أجل بعضهم البعض. الرب يسوع أخبر تلاميذه بأن محبتهم بعضًا لبعض تجعل الآخرين يتعرفون عليهم (يوحنا ١٣: ٣٤، ٣٥).

الطريقة التي نتعامل بها مع الآخرين هي أصدق اختبار لإيماننا. كيف أعامل أخًا أو أختًا من يوم إلى يوم، كيف أتفاعل مع مدمن شوهته الخطية أراه في الشارع، كيف أتجاوب مع من يقاطعني ولا أحبه.

من الناحية العملية، هناك عدة أشياء نستطيع أن نقوم بها لزيادة مزايا الشركة. لابد أن تكون لدينا نية متعمدة للتواصل والتفاعل مع المؤمنين الآخرين في عملنا ومجتمعنا كما في كنسيتنا. الروح القدس يسكن في كل المؤمنين وعندما يجتمع مؤمنان في مكتب أو مدرسة أو شارع أو أي مكان هناك صدى روحي يذكرنا أننا جزء من جسد المسيح. هل تشعر بذلك؟

بسبب الخوف الذي يشعر به البعض تجاه الغرباء نجد أن الشركة في بدايتها كثيرًا ما تكون سطحية. لذا من الضروري أن تصير جزءًا من مجموعة صغيرة محدودة نسبيًا حتى يمكنك أن تتعود أكثر على المؤمنين الآخرين. هذه هي الطريقة الوحيدة لتعمق شركتك معهم وكلما تعمقت شركتك مع الآخرين كلما تعمقت شركتك مع الله. هل ترعبك هذه الفكرة؟ اسمع هذا:

"لأن من لا يحب أخاه الذي أبصره كيف يقدر أن يحب الله الذي لم يبصره"

(١يوحنا ٤: ٢٠)

ربما لم أذكر لكن من المؤكد أنك لاحظت أن هذه الطرق التسعة عشر لإنعاش حياتك الروحية سوف توسع أفقك كما فعلت بعض الأشياء أو سوف تفعلها في المستقبل.

كيف أتعامل مع أناس عاديين واقعين في حيرة عادية في يوم عادي، كل هذا يصلح مؤشرًا لقياس احترامي للحياة أكثر من لاصق يحارب الاجهاض أضعه على سيارتي.[1]

حالات السقوط المحتملة

هناك بالطبع بعض الأخطار التي تحيط بالشركة. كما يمكننا أن نتقوى بإخوتنا وأخواتنا الأتقياء يمكننا أيضًا أن نضعف بسبب إخوتنا وأخواتنا الجسديين، خاصة من يظنون أنفسهم روحيين. في كتابه Life Together "الحياة معًا" كتب Dietrich Bonhoeffer "ديتريك بونهوفر" عن أخطار "الشركة الروحية" التي لا تسمح لأحد بأن يكون مذنبًا. في مثل تلك المواقف، يعمل كل واحد على إخفاء خطيته الشخصية عن الجماعة وبما أنه على اقتناع بأنه الخاطيء الوحيد فيما بينهم فالرعب الشديد يصيبه حين تنكشف خطية أحدهم وغالبًا يدينه بقساوة. لذا رغم الوقت الذي يقضونه معًا قد يشعر المؤمنون بوحدة قاسية ويتظاهرون بالانتصار على الخطية وبذلك يعوقون تحقيق الشركة الحقيقية.

الشركة هي الوجه الآخر لعملة الوحدة، كل منها يحقق التوازن للآخر ويساعدنا على الاستمتاع بالآخر ويزودنا بالقوة المناسبة لممارسة الآخر.

[1] Manning, Brennan—www.supercinski.net/2008/06/29/quotes-on-fellowship

هناك خطر عظيم لو تبنينا نظرة سطحية للشركة. فالبعض يربط تناول الطعام بـ "الشركة" وآخرون يربطونها بالنواحي المادية فلا يعطون مالاً لأخ محتاج لأن "لهم شركة" معه. الطعام والماديات جزء من الشركة لكننا ننزع من الكلمة معناها الحقيقي لو استبعدنا التقارب الروحي من مدلولها.

والخطر الأخير هو أننا معرضون لأن نصبح منعزلين داخل جماعة صغيرة بدلاً من استخدام أوقات الشركة في الاستعداد للكرازة لغير المؤمنين ولخدمة مؤمنين آخرين في مجتمعات أكبر. الشركة داخل مجموعة صغيرة لا يجب أن تصبح بديلاً عن كوننا جزءًا من كنيسة محلية تجتمع معًا. قد تزداد غلاوة الشركة في أعيننا حتى تقلب موازين الحياة التي يدعونا الله إليها.

الشركة تساعدنا على:

- اختبار وجود المسيح في الاجتماع.

- تتميم الجوانب المؤسسة لخلاصنا.

- التعلم من المؤمنين الآخرين واكتساب قوة منهم.

- أن نتقوى لا بصفتنا أفرادًا بل جزءًا من جماعة.

- خدمة المسيح المتجسد في الآخرين.

- الانتصار على مباديء العالم التي تنادي بالانفرادية.

كلمة مشجعة

الشركة هي إحدى الأشياء الرائعة التي قد تصبح غاية في حد ذاتها. "دع الأوقات الجميلة تمضي". كل المؤمنين اختبروا الفرح الناتج عن التواصل مع مؤمنين آخرين مشابهين لهم في التفكير للتشجيع والبنيان. طالما إننا نلبي احتياجاتنا الاجتماعية والروحية من السهل أن نركز فقط على ما هو مباشر وملموس ومتاح.

العلاقة التي توصف بـ "لا يفل الحديد إلا الحديد"، كما تشير الصورة

التشبيهية، لها جانب خطير. لكن الخبر السار هو إننا كلما اقتربنا من المسيح كلما قل احتمال أن نرى شركتنا مع المؤمنين تتدهور وتتحول إلى تحزبات أو مجموعات منفصلة.

إحدى الطرق التي نتعلم بها أن نقوي علاقتنا مع المسيح
هي السلوك بالقرب من وبالاستقامة
مع إخوتنا وأخواتنا.

١٤ تعلم الخضوع

قصة للبداية

لا تشك أبدًا في إمكانية حدوث تغيير داخلي. إنه ليس أمرًا سهلاً وسريعًا. لكن من الممكن حدوثه. فقد حدث لي شخصيًا. أنا "بطرس" صياد السمك وصياد الناس.

تعلمت في طفولتي أن أقول أول فكرة تخطر على بالي أي أعلنها قبل أن تتاح فرصة للآخرين للتصريح بأفكارهم وأبدأ في تنفيذها على الفور قبل أن يتمكن أحدهم من الشروع في تنفيذ فكرته. وعندما كبرت وأصبحت رجلاً بالغًا كان هذا الأسلوب الوحيد الذي أعمل به.

حاولت أن أتعلم. حاولت أن أتغير. أدخلت نفسي في مواقف محرجة مرات عديدة. ندمت على أشياء كثيرة تسرعت في قولها لكن الكلام الذي تنطق به كالماء المسكوب على الأرض. تطاردني مواقف عديدة حاولت فيها أن أسبق الآخرين لكن كنت آخر مَن يصل إلى خط النهاية.

أخبرت الرب يسوع بأن نبوته بموته على الصليب لن تحدث. لم تكن لديّ النية في أن أتركها تحدث لكنه أجابني بأني واقف في صف إبليس. وعلى الجبل اقترحت بأن نعمل مظالاً للرب يسوع وموسى وإيليا وجاءنا صوت الله: "هذ هو

ابني الحبيب. له اسمعوا". تدخلت بسيفي مستعدًا للعب دور البطل بهدف الدفاع عن سيدي الذي نهرني وأمرني بإبعاد السيف ثم شفى الرجل الذي قطعت أذنه. قلت للرب بأني على استعداد لأن أموت قبل أن أفكر في خيانته لكن الكلمات التي نطقت بها أدانتني وأنا أنكره ثلاث مرات قبل شروق شمس اليوم التالي.

شعرت بالذل والهوان لتهوري وطيشي. ثم حدث شيء غريب، في يوم الخمسين نزل روح الله. عرفت حياتي بعدًا جديدًا، قوة جديدة، ونوعًا جديدًا من الانضباط. لم أفهم أبدًا كيف أسلم الرب نفسه لأيدي أعدائه ومعذبيه. فجأة أدركت السبب. لم أكتشفه بنفسي ولم يخبرني به أحد. لقد عرفت... فحسب.

وتغيرت حياتي. بل تغيرت أنا. لم يعد عليّ أن أمسك زمام الأمور. عندما قبضوا عليّ أنا و"يوحنا" وأوقفونا أمام مجلس السنهدريم لم أبدِ أي مقاومة بل نطقت بالحق بكل جرأة مظهرًا كل الاحترام للرجال الذين كنت أتكلم إليهم. كان الله يريني أمورًا معينة وكنت أستجيب له. فذات مرة دعاني رجل روماني للذهاب إليه فلم أذهب إلى منزله فقط بل دخلت وتكلمت بكلام الرب إليه وإلى كل أسرته ورأيت بعيني كيف دخل الله حياتهم.

في مرة أخرى قبضوا عليّ ووضعوني في المحبس. سرت بهدوء وراء الملاك ومررت على فرقتين من الحراس وخرجت من السجن، بصراحة كان شيئًا مريبًا وقتها. لكني كنت أتعلم أن الله ممسك بزمام الأمور ولو خضعت له لن يعد الخضوع لأي إنسان أمرًا صعبًا عليّ لأنه سيهتم بكل شيء. لو سلمت بأنه مسئول عن كل شيء ولم أحاول إصلاح الأمور بمعرفتي سيتكفل هو بكل شيء.

ووقعت بعد ذلك مشكلة في الكنيسة فعقدنا مجمعًا في أورشليم. كانت المشاعر مضطربة ومهتاجة وانتابنا جميعًا الإحساس بأننا نناضل في سبيل الحق الإلهي. لكن بنعمة الله استطعت الوقوف والشهادة بما حدث معي شخصيًا مما ساعد على تهدئة النفوس. كثيرًا ما كنت أهيج الأمور حين أتكلم لكن عندما خضعت للروح القدس وضبطت مشاعري حدثت أمور سارة كثيرة.

ثم حدثت تلك الواقعة في أنطاكية وعرفت وقتها أن الله غيرني بالفعل. وقعت تحت تأثير بعض اليهود المتشددين الذين جاءوا من أورشليم ورجعت للطرق والعادات اليهودية القديمة. أنبني "بولس" على الملأ. وسط اجتماع عام! وأمام كل الحاضرين! تكلم عن الحرية من الناموس. كان موقفًا محرجًا لكني أعلم أنه كان على صواب. خضوعي لله مكنني من الخضوع لأخي.

أعلم أن الأمر لا يزال يحمل لي الكثير من دروس الخضوع. الرب يسوع نفسه تنبأ بأني سأواجه موقفًا واحدًا ونهائيًا يتطلب مني أن أخضع. حين قال تلك الكلمات تمردت في داخلي لكنني الآن سعيد بما يحدث. وعلى أتم الاستعداد لتنفيذ مشيئته فرحًا.

ما الذي نتكلم عنه؟

الخضوع بكل بساطة هو تسليم القوة أو السلطة لآخر، والإذعان طوعًا لإرادة أو رأي أو أمر أو رغبة شخص آخر.

الأساس الكتابي

لأن هذا المفهوم موجود في ثقافات متعددة فمن الضروري إذًا أن نضع الأساس الكتابي خاصة أن كل المؤمنين مدعوون للخضوع للآخرين. علينا أن نخضع لـ:

الله:

"فاخضعوا لله. قاوموا إبليس فيهرب منكم. اقتربوا إلى الله فيقترب إليكم. نقوا أيديكم أيها الخطاة وطهروا قلوبكم يا ذوي الرأيين. اكتئبوا ونوحوا وابكوا. ليتحول ضحككم إلى نوح وفرحكم إلى غم. اتضعوا قدام الرب فيرفعكم"

(يعقوب ٤: ٧ – ١٠)

السلطات المدنية:

"اخضعوا لكل ترتيب بشري من أجل الرب. إن كان للملك فكمن هو فوق الكل أو للولاة فكمرسلين منه للانتقام من فاعلي الشر وللمدح لفاعلي الخير. لأن هكذا هي مشيئة الله أن تفعلوا الخير فتسكتوا جهالة الناس الأغبياء"

(١بطرس ٢: ١٣– ١٥)

السلطة الكنسية:

"أطيعوا مرشديكم واخضعوا لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم كأنهم سوف يعطون حسابًا لكي يفعلوا ذلك بفرح لا أنين"

(عبرانيين ١٣: ١٧)

بعضنا لبعض:

"خاضعين بعضكم لبعض في خوف الله"

(أفسس ٥: ٢١)

"كونوا جميعًا خاضعين بعضكم لبعض وتسربلوا بالتواضع لأن الله يقاوم المستكبرين وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة"

(١بطرس ٥: ٥)

"لا شيئا بتحزب أو بعجب بل بتواضع حاسبين بعضكم البعض أفضل من أنفسهم. لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه بل كل واحد إلى ما هو لآخرين أيضًا"

(فيلبي ٢: ٣– ٤)

استكشاف معنى الخضوع

الخضوع جانب من أكثر الجوانب تحديًا في الحياة الروحية ويستحق المناقشة لأنه لا يتوافق مع جوهر الشخصية البشرية. لا يُعد صفة حميدة في

الثقافة الغربية وحتى في المجال المسيحي إذ يكاد يحمل الجميع نظريات سلبية ترتبط بالخضوع.

يشعر البعض بأنه قام بتجربة الخضوع "ولم ينجح الأمر".

يرى البعض الخضوع على أنه نتاج ثقافي لا مكان له في مجتمعنا المعاصر.

يشعر البعض بأن له الحق في طلب الخضوع من الآخرين.

تعرض أغلبنا لإساءات كثيرة في حياته كانت محللة ومشرعة على أنها من "حق" شخص آخر أن نخضع له.

يركز الجميع تقريبًا على الطاقة المتدفقة من "المُخضِع" نحو "الخاضع" ولا يلاحظ أحد الطاقة السائرة في الاتجاه المعاكس. ينبغي على القادة استخدام سلطتهم لمنفعة تابعيهم.

صحيح أن الخضوع أمر غير محبب وغير مطروح للمناقشة بصفة عامة إلا أنه موضوع هام ويتكرر كثيرًا في كلمة الله. لكن المفهوم الكتابي للخضوع يخص أكثر السلوك الصحيح لا الرتب والمراكز. ويسلط الضوء على تغلب الخضوع الإرادي على الإخضاع بالإكراه ويدعو إلى العلاقات التبادلية بين المؤمنين ويعلمنا تقدير واحترام وإكرام إخوتنا المؤمنين. الخضوع الكتابي يساعدنا على أن نكون أكثر تشبهًا بصورة المسيح.

نرى الرب يسوع خاضعًا للآب بصورة متكررة في الأناجيل. وأحيانًا يشير صراحة إلى ذلك في كلماته:

"متى رفعتم ابن الإنسان فحينئذ تفهمون إني أنا هو ولست أفعل شيئًا من نفسي بل أتكلم بهذا كما علمني أبي. والذي أرسلني هو معي ولم يتركني الآب وحدي لأني في كل حين أفعل ما يرضيه"

(يوحنا ٨: ٢٨– ٢٩)

وحتى حين لم يكن يعبر عن الخضوع بكلمات واضحة كان يعيش حياة الخضوع عمليًا وأبرز مثال على ذلك الدقائق الرهيبة التي قضاها في بستان جثسيماني عارضًا كل شيء نعرفه عن الوحدة الإلهية "يا أبتاه إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس. ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك" (لوقا ٢٢: ٤٢).

نرى في كلمات الرب يسوع الفرق بين الخضوع والطاعة. قد يستطيع المرء أداء المظهر الخارجي للطاعة بدون تبني الحالة الداخلية للخضوع. لكن الشعور الداخلي بالخضوع يقود دائمًا إلى المظهر الخارجي للطاعة. هذا ما نجده في الرب يسوع وهذا ما ينبغي أن يجده الآخرون فينا.

للبدء في عيش حياة الخضوع ادع أشخاصًا تثق بهم ليشيروا لك إلى نقاط ضعفك الروحية. هذا قد يساعدك جدًا خاصة إذا تركتهم يحاسبونك. ثم راقب ردود أفعالك عندما يشير أحدهم إلى عيب ما فيك أو خطأ أو ضعف أو خطية. لو استطعت قبول ملاحظاتهم فأنت على الطريق الصحيح أما لو اتخذت موقفًا دفاعيًا فاعلم أن أمامك جهدًا روحيًا لتقوم به.

مَن يعيش حياة الخضوع الحقيقية كثيرًا ما يجد نفسه متجهًا إلى أماكن القيادة الروحية. إذا نظرت إلى النساء والرجال الذين يستخدمهم الله كقادة ستجد أنهم تعلموا أولاً أن يصيروا تابعين.

الخضوع يساعدنا على:

تعلم تسليم القيادة.

تعلم الاعتراف بالسلطة الشرعية والعمل تحت قيادتها.

تعلم قبول النقد (الشرعي وغير الشرعي).

تعلم تحمل المسئولية.

أن يكون لديك قلب رقيق وروح قابلة للتعلم.

قبول أننا في النهاية تحت سلطان للمسيح.

الحصول على إرشاد روحي وحكمة.

التحرر من عبودية التحكم في كل شيء.

التحرر من تقدير الذات المبالغ فيه.

حالات السقوط المحتملة

كان من الصعب تحديد هل احتمالات السقوط هذه ينبغي أن توجه "للمخضعين" أم "للخاضعين". النصائح المناسبة لمجموعة لها عواقب مناسبة لمجموعة أخرى. واخترت هنا أن أتوجه بحديثي إلى المدعوين للخضوع، أولئك الذين يرون أن الخضوع واجب إذا تم تنفيذه بالطريقة الصحيحة.

أغلب المشاكل في هذه النقطة ترتبط بنظرة مشوهة عن الخضوع. من الضروري أن نلتزم الحذر كيلا يأخذ أحد مكان الله في حياتنا. علينا أن نخضع للآخرين لكن لا يجب إعطاؤهم نوعًا غير مناسب من القيادة. لأننا نعيش في عالم مليء بالخطية والسقوط نجد أن هناك مواقف تستدعي العصيان المدني حتى ونحن نعيش خاضعين لله. لابد أحيانًا أن يتمرد المؤمنون على السلطات البشرية، سواء في البيت أو المؤسسات الاجتماعية أو حتى الكنيسة، عندما تحاول تلك السلطات أن تجبرهم على التصرف بطرق مناقضة للمباديء الإلهية.

حتى في الحالات التي لا توجد فيها محاولات صريحة لإبعادنا عن الله، قد يحاول الشخص الذي يجب أن نخضع له أن يسيطر علينا لدرجة تفقدنا الشعور بهويتنا وقيمتنا. هذا من شأنه أن يمنعنا عن القيام بواجباتنا تجاه الله. الله خلقنا كما نحن لمشيئته ومقاصده لا ليستغلنا أو يتحكم فينا الآخرون.

وأخيرًا، تأكد يا صديقي أنك لا تحاول أن تتحكم في الآخرين بإخضاعهم لك. فإننا نستطيع بكل سهولة الوقوع فريسة لشكل من أشكال صنع التفكير: لو خضعت لك فأنت بذلك تمتلكني.

كلمة مشجعة

ستحتاج إلى كل معونة ممكنة لأنك تعيش في القرن الواحد والعشرين، لكنك لن تجد أي دعم، أو على الأقل تشجيع، من المجتمع المحيط بك. الرموز الثقافية

اليوم تنتهك باستمرار القواعد وتتحدى السلطات وترفض المعايير الاجتماعية وتحتقر المباديء الكتابية. هذا لا يعني أنك لن تجد دعمًا من الأفراد الذين ليس لهم علاقة حية مع الرب يسوع. من الممكن أن يؤثر فيك أناس رائعون من مختلف الخلفيات الفلسفية وبهذا يمكننا القول أن الثقافة بصفة عامة تميل إلى إبعادنا عن الله والحياة المسيحية التقية.

أكثر شيء مشجع هو ما قاله "يعقوب" في الأصحاح الرابع من رسالته حيث أشار إلى أن الخضوع هو أول خطوة نحو النصرة الروحية. هل تريد أن تهزم الشيطان؟ لا تبدأ بأن تحاول تقيده أو تطرده أو تحاربه بل ابدأ بالخضوع لله ثم قاومه من خلال كلمة الله بقوة الروح وسيهرب منك. كسب الرب يسوع أشرس حرب روحية في الكون بالخضوع إلى الله أولاً ثم إلى كل السلطات الأخرى دينية ومدنية وقضائية حتى يستخدمه الآب لتنفيذ مقاصده.

لن يقول لك أحد أن الخضوع شيء لطيف أو من شأنه أن يزيد من اعتزازك بذاتك أو سيجعلك تبدو حسنًا أو حتى سيجعلك غنيًا. الخضوع تجربة صعبة لكل منا خاصة لو خضعنا للناس الذين يريد الله أن يستخدمهم كعناصر مغيرة لحياتنا لا كالله نفسه.

فقط من تعلم أن يعيش خاضعًا للّه ولطرقه البعيدة عن الاستقصاء سيختبر الفرح والنصر الحقيقي.

"اخضعوا لله. قاوموا إبليس فيهرب منكم"

(يعقوب ٤: ٧)

١٥ ادرس كتابك المقدس

قصة للبداية

عندما لا نعود نسمع صوت الله من خلال الأنبياء فإن كلمة الله تصبح مصدر الحق الوحيد. هذا ما كرس الفريسيون حياتهم لأجل اكتشافه. أعرف ذلك لأني أنا نفسي فريسي وأبحث عن الحق في التوراة.

اسمي "نيقوديموس".

الدراسة. هذه هي قصة حياتي في كلمة واحدة. انبهرت بالكلمات من الوقت الذي تعلمت فيه القراءة. الكلمات هي أصغر وحدات اتصال وكلمات الله نجدها في التوراة. لو أردنا معرفة ماذا يقول الله لنا لابد أن نتعمق في استكشاف كل حرف لكن هذا ليس كافيًا.

التشديد المبالغ فيه على الكلمات قد يقود إلى أخطاء جسيمة. ولابد أيضًا من تحقيق الروابط، كل الروابط. الله لا يناقض نفسه أبدًا لذا نتحدى كل ما يبدو متناقضًا. إننا نربط بين كل الأفكار المتصلة بعضها ببعض ونجمع كل القطع الصغيرة كأجزاء من لوحة ضخمة.

قد يظن أحدهم أن بعد كل سنوات الدراسة هذه اقتربنا من النهاية أو على الأقل أوشكنا على إغلاق الموضوعات المعلقة فيصبح لدينا مفهوم واحد واضح عن الله وناموسه. قد يظن المرء ذلك لكن هذا ليس هو الحال. لم أعد شابًا

وواصلت دراساتي لأكثر من ثلاثين عامًا وفي الفترة الأخيرة شعرت بأنني أبعد ما يكون عن الحق أكثر من أي وقت مضى.

آخر نبي تكلم بكلمة الرب لشعبه كان "ملاخي" منذ ٤٠٠ سنة. كل ما لدينا الآن هو وحي الله المقدس لذلك نعكف على دراسته. قد يقدم أحد المعلمين اليهوديين رأيًا ما، وقد يطرح آخر وجهة نظر بديلة، ثم نناقش المسألة في مجلس السنهدريم. في بعض الأيام تبدو هذه الجلسات كأن لا نهاية لها. ولا يبدو أننا ازددنا اقترابًا إلى الحق. لا يوجد صوت مرشد وله سلطان، على الأقل لم يكن هناك مثل هذا الصوت.

والآن ظهر رجل فجأة، معلم متجول (بدون شهادات معتمدة، لو يحق لي بأن أضيف) من الجليل يعلم في أروقة الهيكل. وهنا تقع المشكلة. نحن الفريسيون كرسنا حياتنا لدراسة التوراة. رغم اعترافي بأننا لم نطلع منها بشيء إلا أنه أصبح لدينا رؤية محددة تخص عدة أمور. لكن هذا الرجل قلب الموازين كلها.

يُعلِّم بأن الله لا يُسر بالمظاهر الخارجية التي نحرص عليها ونحن ننفذ وصايا الناموس والتي يوافق عليها كل ما سبقه من معلمي التوراة. وبدلا من أن يُعلِّم الوصايا الفردية الواضحة قام بتقليص الـ٦١٣ وصية إلى وصيتين فقط. أولاً، تحب الله من كل قلبك ونفسك وفكرك. وثانيًا، تحب قريبك كنفسك. كيف يُمكن قياس ذلك؟ لن يعود بإمكان أحد الزعم بأنه نفذ تلك الوصيتين، ولا حتى زملائي بالمجلس و لا أنا.

هناك شيئان بمثابة شوكتين في جسدنا: شعبيته، لا يكاد يفتح فمه إلا وتلتف حوله الجموع. ما عاد بمقدورنا جمع طلابنا ليستمعوا إلينا. وثانيًا، ذلك "الشيء" الغامض الذي يحيط به. رغم أنه يبدو أنه يكسر وصايا الناموس إلا أنه بلا شك إنسانًا مقدسًا ويعرف الله بطريقة لا أعرفها أنا بل ويتكلم بلسان الله بطريقة لم يستخدمها أي معلم يهودي أعرفه.

قمت بزيارته أمس في وقت متأخر من الليل. راودني انطباع وأنا جالس معه بأنه كان في انتظاري. أجاب على كل أسئلتي وإجاباته كانت واضحة ومحيرة في نفس الوقت. تكلم عن الولادة كأمر روحي. أن تكون ابنًا لله يعني أن تولد من الله، تولد من فوق. قلت له لأتحداه: الإنسان البالغ لا يستطيع أن يولد مرة ثانية فكيف يمكنه الحصول على حياة جديدة أو على الحياة الأبدية؟ لابد أن أقضي مزيدًا من الوقت لدراسة ذلك الأمر.

ما الذي نتكلم عنه؟

دراسة الكتاب المقدس مع الصلاة بالطبع تتصدر قائمة الأمور التي يعملها غالبية الناس عمدًا للنمو روحيًا. ربما علينا أن نسأل أنفسنا هل ما نفعله في الواقع يعد "دراسة" حقيقية أم نحن مقصرون عن عمل المجهود الذي يتطلبه المعنى الحقيقي للكلمة. الدراسة تقتضي ممارسة قوانا الفكرية لأقصى حد بهدف اكتساب معرفة وفهم وحكمة من خلال القراءة أو التجربة. وتتطلب أيضًا فكرًا متعمقًا عن الموضوع واستيعابًا ذهنيًا للمعلومات لا مجرد تسجيل للحقائق في ذاكرتنا. هناك عدة طرق لدراسة الكتاب دراسة صحيحة لكل مَن يريد ذلك بأمانة. كتبت مئات من الكتب ودارت ندوات ودورات دراسية عديدة حول هذه الطرق. ربما تراودك الرغبة في التبحر في بعضها وأنت تتقدم في حياتك الروحية.

الأساس الكتابي

هناك عدة إشارات كتابية للدراسة أهمها كلمات الرب يسوع للفريسيين في يوحنا ٥:

> "فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية. وهي التي تشهد لي. ولا تريدون أن تأتوا إليَّ لتكون لكم حياة"
>
> (يوحنا ٥: ٣٩، ٤٠)

الوحي يشير إلى الرب يسوع كالمسيا لكن الفريسيين لم يتجاوبوا معه. دراسة كلمة الله كانت من الأنشطة التي تقوم بها الكنيسة الأولى:

" كان هؤلاء (مؤمنو بيرية) أشرف من الذين في تسالونيكي فقبلوا الكلمة بكل نشاط فاحصين الكتب كل يوم هل هذه الأمور هكذا"

(أعمال ١٧: ١١)

قال "بولس" الكثير عن الدراسة وأوصى "تيموثاوس" قائلاً:

"اجتهد أن تقيم نفسك لله مزكى عاملاً لا يخزى مفصلاً كلمة الحق بالاستقامة"

(٢تيموثاوس ٢: ١٥)

وكتب لأهل رومية:

"إن كل ما سبق فكتب كتب لأجل تعليمنا حتى بالصبر والتعزية بما في الكتب يكون لنا رجاء"

(رومية ١٥: ٤)

استكشاف معنى الدراسة

الدراسة تساعدنا على وضع إدراكنا للواقع في صف واحد مع الله. كثيرًا ما يبدو الكتاب المقدس غامضًا صعب الفهم لكن يختفي هذا الانطباع تدريجيًا إذا طبقنا بكل جدية أفضل وسائل الدراسة ليسهل فهمنا للمكتوب. الدراسة ضرورية جدًا لاكتشاف الحق الإلهي المعلن في الكتاب المقدس والذي من الممكن إدراك بعضه بأكثر قليلاً من القراءة السريعة. لكن من الناحية الأخرى قد يحتاج بعضه إلى مجهود ذهني ضخم لسبر أغواره. "دراسة" كلمة الله لا تتوقف عند معرفة

الحقائق فقط بل غرضها هو تشكيل أذهاننا وأفكارنا لتتوافق مع فكر الله. التغيير والتجديد كلمات مناسبة لوصف ما نأمل أن نكتسبه من دراسة الكتاب المقدس.

لابد أن تكون لدينا النية المتعمدة لدراسة كلمة الله كما هو الحال مع بقية الطرق التسعة عشرة لإنعاش حياتنا الروحية. من الضروري اختيار وقت دراسة الكتاب بعناية بغض النظر عن تكراره.

صحيح أننا قد نقرأ الكتاب بصورة متقطعة إلا أننا بحاجة لنكون أكثر جدية لتخصيص وقت محدد لدراسته.

هناك أمر واضح كالشمس لكن من الضروري أن ننتبه إلى وقت دراستنا، إننا ننسى بسهولة هذا الأمر لأننا لا ننتبه إليه.

يجب إبعاد كل ما يمكن أن يلهينا بقدر الإمكان وهذا بالطبع يتضمن ما هو موجود من حولك وفي عقلك.

وكن حازمًا مع نفسك. عندما يتشتت انتباهك استرجعه بسرعة.

تسجيل الملاحظات كتابة يساعد على العودة سريعًا إلى ما توقفت عنه.

عليك أن تتسلح بالعزيمة والإصرار.

إحدى فوائد الدراسة تأتي بعمل الروابط. اربط مثلاً مادة جديدة بما تعرفه سابقًا. وهذه الروابط تساعدنا على تجميع الحق الإلهي ووضعه داخل "صورة كبيرة" تؤدي بنا إلى فهم الموضوع ككل. هذه الروابط تساعدنا أيضًا على تصفية الأفكار الخاطئة وطردها لأنها لا تتناسب مع الصورة الكبيرة.

قد يكون التكرار مفيدًا لعدد كبير منا في تثبيت المعلومة في ذاكرتنا. هناك عدة طرق للحفظ. البعض يفضل أن يحفظ آيات فردية والبعض الآخر يركز على حفظ موضوع كل أصحاح في كراسة خاصة به. وآخرون يفضلون تعلم الروابط التي تربط أفكارًا معينة بالصورة الكبيرة.

شيء أخير أود أن أذكره رغم أننا مررنا عليه من قبل كنقطة مستقلة بذاتها وهو التأمل. ونحن نتأمل وندقق في شذرات من الحق الإلهي بصورة متكررة سيزداد فهمنا لها ونحقق هدفنا من الدراسة.

حالات السقوط المحتملة

أخطر حالة سقوط هي تلك التي ترتبط بالدافع. احذر من رغبتك في تسليح نفسك لتدمير الآخرين الذين يختلفون معك في الرأي. الدراسة لهذا الغرض ستفسد النتائج وتبطل الفائدة الروحية منها. لابد أيضًا أن تحترس من الشعور بالاكتفاء بالحصول على شهادة أكاديمية في هذا المجال. رغم حُسن فهمك للمفاهيم الكتابية على مستوى الكلمات والجمل والعبارات لكن لو لم تسمح للحق الإلهي بأن يؤثر تأثيرًا إيجابيًا على حياتك فلن يحدث أي تغيير بها.

هناك خطر آخر لابد أن تحترس منه هو أن تعتمد على جهودك الذاتية في الدراسة. صحيح أن أغلبنا يحب أن يعتقد أنه يقوم بالأمر بالطريقة الصحيحة عندما يحاول الخضوع للروح أثناء دراسته للكتاب المقدس لكن كل هذا قد يتم بصورة خاطئة. ناقش ما تعلمته مع مؤمنين ناضجين روحيًا وقارن ملاحظاتك ومفاهيمك مع مَن سبقوك.

كلمة مشجعة

دراسة الكتاب المقدس قد تغني حياتنا الروحية وتنعشها بصورة لا يستطيع تحقيقها أي شيء آخر. إنها لا تتحدى ذكاءنا وتثير مشاعرنا فقط بل تعمق شركتنا مع الله.

تذكر أن هدف الدراسة ليس أن تغزو المادة بل أن تتيح لله بأن يغزو قلبك القاسي ويشكلك حتى تصبح شبه صورة المسيح.

١٦ السجود

قصة للبداية

سبع سنوات تكون فترة زمنية طويلة لو انتظرت خلالها شيئًا ترغب فيه بشدة لكن في اللحظة التي تتحقق فيها أمنيتك تشعر بأن الانتظار كان لا شيء.

أنا "سليمان"، ابن "داود" ملك إسرائيل.

بنيت أعظم وأروع هيكل ممكن أن يتخيله إنسان تكريمًا لحلم أبي في بناء مسكن لله على الأرض. كانت مهمة موكلة لي وكنت متحمسًا جدًا ليس فقط لتنفيذها كواجب مفروض عليّ بل لأني كنت أود تجاوز كل التوقعات حتى يصبح المبنى تحفة فنية نصلي فيه لخالق وسيد الكون.

هذا الهيكل هو المكان الذي ستأتي إليه كل الشعوب لتسجد لله العلي. في هذا المكان سيرفعون أيديهم للصلاة وسيجثون أمامه وسيذبحون الحيوانات للتكفير عن خطاياهم وسيتغنون بإحساناته ومراحمه لأنه أنقذ شعبه من العبودية. في هذا المكان سيختبرون الشركة العميقة مع يهوه نفسه وهو آت ليسكن وسط تسبيحات شعبه.

مكان مثل هذا ينبغي أن يكون مناسبًا للغرض الذي أقيم لأجله. فيجب أن يكون عظيمًا لأن الله عظيم، ورائعًا لأن الله مجيد، ومقدسًا لأن الله قدوس.

أكثر من سبع سنوات مضت منذ إرساء الأساسات. وبدأ الهيكل يأخذ شكلاً يومًا بعد يوم. عندما انتهت أعمال البناء ذهبت ورأيت عمل أيدينا. كان مبنى مذهلاً لكن ليس أكثر من مجرد مكان واسع وفارغ وصامت، مكان موحش خالٍ من وجود العمال والمتعبدين والكهنة والله.

ملأناه بالأثاثات والكنوز التي خصصها أبي له. أصبح الآن أغلى بقعة على وجه الأرض: رائع التصميم، متقن التنفيذ، فخم التجهيزات. قمت بفحص قاعاته وغرفه واعتراني شعور بالفراغ. اجتمعنا أمس لإحضار تابوت العهد من مسكنه المؤقت الذي أعده له أبي لمسكنه الدائم وراء الحجاب في قدس الأقداس. قدمنا خلال الرحلة عددًا لا يُحصى من الذبائح، أفخر ما في الأرض من غنم وثيران.

وأخيرًا حملنا التابوت داخل أروقة الهيكل المتتالية حتى رقد بين الكاروبيم في قدس الأقداس. لا شيء يُرى إلا أطراف العصي التي كانت تحمل التابوت ولا ترى إلا من قدس الأقداس فقط. لم يكن مسموحًا إلا للكهنة فقط بالدخول هناك وانسحبت بقيتنا إلى الفناء.

اجتمع الكهنة واللاويون شرق المذبح لابسين كتانًا أبيض نقيًا وحاملين الآلات الموسيقية (كان ١٢٠ كاهنًا فقط يحملون الأبواق) وبدأ المرنمون والعازفون في الترتيل والتسبيح ورفع الشعب كله كرجل واحد صوته بالهتاف والتسبيح للرب.

وبينما كانوا يهتفون "الرب صالح، لأن مراحمه تدوم إلى دهر الدهور" جاءت سحابة وملأت المكان كله. مجد الرب ملأ بيت الله وأسرع الكهنة الذين كانوا متواجدين في قدس الأقداس مهرولين إلى الخارج هاربين من الوجود الطاغي الذي ملأ المكان.

في الواقع، الكلمات لا تسعفني. كانت الشمس تتلألأ فوق الرخام الأبيض والذهبي، وأصوات العازفين تملأ المكان بأصوات الحمد والتسبيح، والحضور الإلهي يسود المكان، كل هذا جعل قلوبنا تنفجر وتفيض بالشكر.

صليت باسم الشعب معلنًا عظمة الله ومتعهدًا بأننا سنسلك بأمانة وعندما انتهيت نزلت نار فجأة. وميض من النور الأبيض الساطع قسم السماء وأحرق التقدمات والذبائح كلها. مجد الله كان حقيقيًا حيًا ملموسًا لدرجة أن الكهنة لم يتمكنوا من الدخول. سقطنا بوجوهنا على الأرض ورنمنا تلك الكلمات التي تمجد اسمه: "الرب صالح، لأن إلى الأبد رحمته". كل ما كنا نعرفه عند نهاية اليوم هو أننا كنا نسجد في محضر الله.

ما الذي نتكلم عنه؟

خلال بحثي في التعريفات المختلفة لكلمة "عبادة" أو "سجود" لاحظت أن بعضها له جوانب آلية: الانحناء، الجثوم، الانبطاح مثلاً. مجرد أوضاع جسدية تعكس حالة قلبية من الصعب التعبير عنها. الحالة الداخلية أهم بكثير من شكل التعبير الخارجي. السجود الحقيقي هو رد فعلنا نحو الله كالخالق القدير، ملك الكون وفادينا ومخلصنا الشخصي. هناك عدة كلمات قد تساعدنا على توضيح مفهوم السجود: احترام، إجلال، تبجيل، هيام، مداهنة، إخلاص وتفان، محبة شديدة.

"حين أسجد للّه أفضل أن يكون قلبي بلا كلام
على أن يكون كلامي بلا قلب..."[١]

الأساس الكتابي

كثيرًا ما نربط بين المزامير والسجود لأننا نجد بها كلمات عديدة تشير إليها لكن الأكثر شيوعًا هو الدعوة إلى السجود، على سبيل المثال:

"علوا الرب إلهنا واسجدوا عند موطئ قدميه. قدوس هو...
علوا الرب إلهنا. واسجدوا في جبل قدسه
لأن الرب إلهنا قدوس"

(مزمور ٩٩: ٥ و٩)

[١] Boschman, LaMar—htt p://www.goodreads.com/quotes/show/120856

يحرض مغنو المزامير بصورة متكررة على العبادة والسجود من خلال أشعارهم فيحكون عن عظمة الله وأعماله وأمانته وجوده وهكذا... على أمل أن يجذبوا كل مَن يقرأ المزامير ليترنم للرب.

وإذا انتقلنا إلى العهد الجديد سنجد أن الرب يسوع يستشهد من العهد القديم للرد على إبليس قائلاً:

"اذهب يا شيطان. لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد
وإياه وحده تعبد"

(متى ٤: ١٠)

يركز إنجيل "يوحنا" على الجانب الداخلي للسجود وهو يسجل كلمات الرب يسوع:

"الله روح. والذين يسجدون له فبالروح
والحق ينبغي أن يسجدوا"

(يوحنا ٤: ٢٤)

في ضوء هذه الكلمات تتراجع أهمية الأوضاع الجسدية والصلوات الطقسية والعادات الدينية لتعطي الأولوية لحالة القلب الداخلية تجاه الله.

استكشاف معنى السجود

أول إشارة كتابية إلى السجود ترد في سفر التكوين، أصحاح ٢٢، حين قال "إبراهيم" لغلاميه أن يجلسا مع الحمار أما هو و"إسحق" فيذهبان للسجود. رغبة "إبراهيم" بالانفصال عن أعز ما له في الحياة ابنه ووريثه وتتميم مواعيد الله ترسي مقاييس رفيعة المستوى ونحن نبدأ في التفكير والتأمل في السجود في حياتنا.

أميل إلى الاستخدام المتكرر لتعبير "السجود الحقيقي". لا يجب أن أفعل هذا لكن من خلال تجربتي الشخصية أعرف أنه سهل جدًا المرور على أشكال السجود المختلفة وحالتي الداخلية ليست صحيحة تجاه الله. ومن السهل أيضًا خداع البشر. أعتقد أني خدعت نفسي كثيرًا أما الله فيعرف إذا كان سجودي حقيقيًا أم لا. السجود الحقيقي يُشرك كياننا كله (قلبًا وروحًا وفكرًا ومقدرة) في العبادة لله وهو متعدد الجوانب (شخصية وجماعية وداخلية وخارجية) لكن يجب العمل على تحقيق التوازن بينها.

السجود يساعدنا على:
- إشراك كياننا كله (قلبًا وروحًا وفكرًا ومقدرةً).
- تحقيق وصية اللّه الواضحة.
- الاستجابة لمن خلقنا لمسرته.

أوصى أكثر من كاتب للكتاب المقدس بالسجود بطريقة أو بأخرى. وهذا يعد أهم شيء في رأيي الشخصي لأن كثيرًا ما لا يختبر شعب الله حضوره بصورة حية وربما لا يختبرونه بتاتًا. أقول هذا لأن كلما كان شعب الله يتقابل معه في الكتاب المقدس كانوا يقدمون السجود له. لم يخبرهم أحد بضرورة هذا الأمر إذ كان رد فعل طبيعيًا من القلب البشري نحو خالقه.

أمرًا مفيدًا وجده الكثيرون ألا وهو تنمية فن ممارسة حضور الله أي الاقرار بوجود الله لحظة بلحظة في أحداث اليوم الواحد. اجتهد لأن تعد نفسك روحيًا قبل اجتماع السجود الجماعي (اقرأ وتأمل جزءًا من كلمة الله، فكر في كلمات ترنيمة، اذهب مبكرًا وسكن فكرك وقلبك).

في الصلاة الجماعية ابحث عن معنى الاجتماع مع الإخوة مع الوضع في الاعتبار أننا نأتي أفرادًا لنجتمع معًا أمام الله. احترس من سجود المحيطين بك ومما يدور بداخلك. نمي شعور السجود في حياتك كعادة دائمة وليس كشيء تعمله حين تشاء. انطق بكلمات سجود وتعبد حتى وأنت وسط الضيق والألم. ارفع يديك حرفيًا وقلبك مجازيًا لله.

"لا نتعلم اللياقة وحسن السلوك إلا في محضر اللّه"[٢]

احتمالات السقوط الممكنة

لا أستطيع التفكير في خطر معين يحيط بالسجود نفسه فلا توجد طريقة نبالغ بها في سجودنا لكن الأذى قد يأتي من ممارسته بشكل منحرف. إننا نخلط أحيانًا بين السجود وبين الشكل المفضل لنا للسجود، ونخطيء عندما نحاول الحفاظ على قدسية طريقة سجودنا كشكل محدد. فلن ندين وقتها إخوتنا المؤمنين فحسب بل سوف نحبس أنفسنا في قالب واحد ونقيد أسلوب تعبيرنا في شكل استرحنا عليه من قبل.

طريقة مشوهة أخرى قد تؤدي إلى مشاكل وهي محاولة إرضاء أنفسنا بالسجود بدلاً من التركيز على الله. إننا لا نسجد طمعًا في بركات معينة ولو إننا كثيرًا ما ننال بركات عديدة خلال سجودنا. لابد أن يكون الدافع وراء سجودنا هو إكرام الله وليس إعطاء أنفسنا "تجربة سجود إيجابية".

من الممكن أيضًا فقدان التوازن بين السجود كتجربة فردية ذاتية والسجود كنشاط جماعي موضوعي. ويدق ناقوس الخطر حين ننسحب ونتراجع إلى المساحة الخاصة بنا خلال اجتماع سجود جماعي، أو إذا أقنعنا أنفسنا بأننا لا نستطيع السجود إلا وسط جماعات كبيرة العدد يصاحبها فريق ترنيم ممتاز وإضاءة مناسبة وبعض وسائل الرفاهية الأخرى.

"كما يبدأ السجود في جو يشوبه حالة انتظار وترقب مقدس ينتهي بطاعة مقدسة، تقوم هذه الطاعة المقدسة بإنقاذ السجود من التحول إلى مخدر أو وسيلة هروب من ضغوط الحياة العصرية"[٣]

---

[2] Lewis. C. S.—htt p://209.237.184.2/prayer/ Devotional_50DaysWithGod_3.asp

[3] Foster. Richard—htt p://dailychristianquote.com/dcqfosterrj.html

كلمة مشجعة

دراسة الكتاب المقدس تساعد على إثراء حياة سجودك وعبادتك. حاول تجربة أشكال بديلة للسجود (جماعات كبيرة العدد أو صغيرة العدد أو على انفراد). لو كان سجودك سجودًا طقسيًا حاول أن تكون عفويًا في الطريقة التي تمارس بها سجودك. ولو كنت عفويًا سجل كيف تسجد ولماذا تصلي واستخدم مصادر روحية متنوعة. وأخيرًا حاول أن تشارك بكل كيانك في السجود: عقلك ومشاعرك وإرادتك وجسدك وروحك.

"السجود، أولاً وقبل كل شيء، يحقق مسرة اللّه وليس مسرتنا نحن، رغم أنه من الرائع أن نكتشف أن من خلال عمل مسرته ندخل بأنفسنا إلى ما قد يصبح أغنى تجربة في حياتنا كلها"[٤]

[٤] Kendrick, Graham—http://www.theocentricworship.com

١٧ تقبل الألم

قصة للبداية

هناك أشياء لا يختارها الإنسان بإرادته. ربما سأكون أول مَن يقول أن بيدنا اختيارات عديدة، اختيارات يتوقف عليها كل مستقبلنا، اختيارات تستند عليها أبديتنا! لكن هناك بعض الأمور هي التي تختار الإنسان وليس العكس. أعرف هذا من تجربتي الشخصية.

أنا "بولس" وُلدت بطرسوس ثم نشأت بأورشليم والآن لم يعد لديّ مكان محدد أستطيع أن أشير إليه كموطن لي.

ما من أحد يختار حياة الآلام. الألم ليس غرضًا أو هدفًا في حد ذاته لكن قد يختار أحدهم حياة تحتوي على قدر كبير من المعاناة على شرط أن النهاية تبرر الألم المصاحب لها. قد أزعم أن كل إنسان مر بضيقة معينة إذ كلنا تلوثنا بالخطية: البار والعاصي، الطاهر والفاسق، الحكيم والجاهل، الجاد والتافه. لا أحد تخلو حياته من الألم فلماذا إذًا لا نختار حياة يخدم فيها الألم غرضًا معينًا ولا يكون نتيجة أفكار حمقاء أو دوافع طائشة لكن يحقق بعض الفائدة في الانتصار على الجسد وتشكيل النفس وتهذيب الروح؟

يصفني البعض بالحماقة عندما أقول مثل هذا الكلام. هل أنا أحمق لأن آلامي لها معنى أم لأنها ضرورية لبركة الآخرين أم لأنها تجعلني أتشبه أكثر بصورة

المسيح سيدي؟ اعتبرني أحمق إذا شئت ولو فعلت ذلك فسوف ترى المسيح أحمق هو الآخر، إذ آلامه كان لها معنى وكانت لازمة لبركتنا وجعلته المثال الوحيد الذي يستحق الاقتداء به.

ربما تساورك شكوك كثيرة فيما أتكلم عنه. من المرجح أنك لا تعرف العالم الذي نعيش فيه، عالم معادٍ للمسيح وأتباعه. الرب دعاني لأشاركه حياته التي كانت تتميز بالألم والضيق لذا حياتي ستكون كذلك. بينما أشارك هذه الدعوة مع من دعاني أتطلع أيضًا للمشاركة في الأمجاد التي ستلي ذلك. الله عادل وبار. لا توجد معاناة تمضي دون أن يلاحظها أحد. ولا ضيقة بلا فائدة. ولا ألم بدون مجازاة. قد أبدو كالأحمق لكن كلماتي تفيض بالحكمة.

لقد جلست مع رجال عدة وقص عليّ كل منهم حكايته. تفاخروا بإنجازاتهم وانتصاراتهم. أما أنا فليس لديّ ما أحكي عنه سوى ضعفي وعاري وآلامي والشخص الذي دعاني إلى هذه الحياة والمجد العتيد أن يأتي.

لا أقول هذا طمعًا في مكافأة. اسمع وتعلم فحسب. إنني أعمل باجتهاد بصورة دائمة. وتعرضت للجلد والسجن بسبب ذلك، ليس لمرة واحدة بل لعدة مرات. أوشكت على الموت في أحيان كثيرة. أعرف جيدًا كيف تكون في السماء نفسها وترى عجائبها التي يعجز اللسان عن وصفها ثم تعود إلى أرض الآلام والأحزان.

لا يوجد خطر كبير جدًا على مَن يعلن بأن المسيح هو السيد على حياته. ثلاث مرات غرقت بي السفينة، وذات مرة قضيت أربعة وعشرين ساعة في مياه البحر المتوسط المثلجة حتى ظننت أني لن أعود أشعر بالدفء مرة ثانية.

أبليت أحذية كثيرة، لم أعد أذكر عددها. تورمت قدماي من السفر وانفصل جلدها عن جسمي.

تتبعني سنة واحدة فقط ولن تضحك حين أقول أني ما عدت أعرف من أين أنا. أدرك كم الأخطار المحيطة بي. لا أسافر بمفردي أبدًا لأن اليهود سيقتلونني في

أول فرصة تسنح لهم كما أن الرومان يتربصون لي. حتى بعض مَن يزعمون بأنهم يتبعون المسيح يريدون أن يصنعوا للعالم معروفًا بتخليصه مني. الوحوش التي تشاركني البرية خلال سفرياتي ستتغذى على لحمي السمين.

أعذروني إذا بدوت أحمق أو متكبرًا. المزيد من الكلام الفارغ من رجل اتهموه بالسفاهة. لا أستطيع أن أحكي لكم عن نصف ما عانيته. لن أختبر صبركم بحكاياتي الطويلة عن أغاني السجن ورجمي على الطريق. لا أقول إلا الحقيقة. إله وأبو ربنا يسوع المسيح، المبارك إلى الأبد، يعلم أني لا أكذب.

أبذل حياتي يوميًا لأجل الإنجيل. وآلامي تحفر بئرًا عميقة يستمد منه إخوتي وأخواتي تعزيات عديدة. نعم، أعاني وأتألم، وهم أيضًا يتألمون مثلي. نعم، أتألم لكن الرب ذاق آلامًا أكثر مني.

ما الذي نتكلم عنه؟

على عكس كمالات السماء المستقبلية نعيش في عالم يفيض بالألم المادي والمعنوي. وأنا أكتب هذا الجزء جاءت إلى مكتبي امرأة من بلد ما بأمريكا الوسطى وأخذت تسرد قصة وراء قصة عن حرب العصابات التي تدور في بلدها. اغتصاب، خطف، أعمال عنف من كل نوع، كل هذا صار جزءًا من الحياة في المدن الكبرى. لا أحد يعيش في أمان. الخوف صار أسلوب حياة. وفي أماكن أخرى في العالم نجد كوارث طبيعية وأمراضًا ومجاعات. بغض النظر عما نراه كسبب جذري لكل هذا، النتيجة هي معاناة بشرية لم نشهدها من قبل.

بكل بساطة، أستخدم كلمة "ألم" ككلمة جامعة تشمل كل شيء تشير إليه كلمات أكثر تحديدًا مثل: محنة، ضيق، كرب، إساءة، أذى، ألم وحزن. ستشمل أيضًا أي شعور سلبي أو مؤلم مهما كانت أسبابه. البعض منا يلحق قدرًا كبيرًا من المعاناة على نفسه.

يشير الكتاب المقدس إلى أن هناك نوعين من الألم. الأول هو ببساطة نتيجة الطبيعة البشرية والحياة في بيئة ملوثة بالخطية. الجميع يعاني ويتألم: "الصالح" و"الشرير"، المذنب والبريء، الغني والفقير، المتدين وغير المتدين. لكن بالنسبة للمؤمنين هناك ألم إضافي (ألا تثلج هذه الفكرة قلبك؟)

شعب الله مدعو في هذا العصر إلى التألم من أجل إيمانه. عندما حاولت بعض النساء مساعدته وهو في طريقه إلى الصلب قال الرب يسوع كلامًا ينذر بالسوء سوف أقتبس بعضًا منه هنا:

"يا بنات أورشليم لا تبكين عليّ بل ابكين على أنفسكن
وعلى أولادكن... لأنه إن كانوا بالعود الرطب يفعلون هذا
فماذا يكون باليابس"

(لوقا ٢٣: ٢٨ -٣١)

وهكذا تصبح فكرة الألم والمعاناة ذات أهمية خاصة لدى المؤمنين.

الأساس الكتابي

لعلك ستلاحظ أن قسم الأساس الكتابي لهذا الموضوع أطول من أي موضوع آخر لأن الكتاب المقدس لديه الكثير ليقوله عن الألم (ونسرد هنا عددًا قليلاً من أشهر الأجزاء الكتابية). هناك تعاليم غير كتابية تنادي بأن الله لا يقصد لأولاده أن يتألموا ويتمادون في المبالغة فيقولون أن الألم نتيجة خطية. لذا أتمنى أن هذه الآيات تساعدك على الخروج من هذه الحيرة.

دعونا نتأمل فيما تقوله كلمة الله عن هذا الموضوع الصعب وغير المحبوب.

المؤمنون أخذوا وعدًا بالألم في هذه الحياة:

"قد كلمتكم بهذا ليكون لكم فيّ سلام. في العالم سيكون

لكم ضيق. ولكن ثقوا. أنا قد غلبت العالم"

(يوحنا ١٦: ٣٣)

الألم في هذه الحياة تجربة مشتركة:

"فقاوموه (إبليس) راسخين في الإيمان عالمين أن نفس هذه الآلام تجرى على إخوتكم الذين في العالم"

(١بطرس ٥: ٩)

الله يستخدم الألم كوسيلة ليزكي بها إيماننا:

"الذي به تبتهجون مع أنكم الآن إن كان يجب تحزنون يسيرًا بتجارب متنوعة. لكي تكون تزكية إيمانكم وهي أثمن من الذهب الفاني مع أنه يُمتحن بالنار توجد للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح"

(١بطرس ١: ٦– ٧)

أناس الله العظماء في الماضي تحملوا الألم بكل صبر وصاروا مثالاً لنا:

"خذوا يا إخوتي مثالاً لاحتمال المشقات والأناة الأنبياء الذين تكلموا باسم الرب"

(يعقوب ٥: ١٠)

من الممكن أن يساعد المؤمنون الآخرين بفضل تجاربهم الذاتية مع الألم:

"فإن كنا نتضايق فلأجل تعزيتكم وخلاصكم العامل في احتمال نفس الآلام التي نتألم بها نحن أيضًا. أو نتعزى فلأجل تعزيتكم وخلاصكم"

(٢كورنثوس ١: ٦)

يتوازن الألم مع التعزية إن لم يكن في هذه الحياة ففي الحياة الأخرى أيضًا:

"فرجاؤنا من أجلكم ثابت. عالمين أنكم كما أنتم شركاء في الآلام كذلك في التعزية أيضًا"

(٢كورنثوس ١: ٧)

الألم وسيلة لمعرفة المسيح:

"لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهًا بموته"

(فيلبي ٣: ١٠)

آلام الحاضر تعد شيئًا تافهًا مقارنة بالأمجاد المستقبلية:

"فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا"

(رومية ٨: ١٨)

الألم ينمي الإنسان وينضجه مثلما "أكمل" المسيح:

"أنه لاق بذاك الذي من أجله الكل وبه الكل وهو آت بأبناء كثيرين إلى المجد أن يكمل رئيس خلاصهم بالآلام"

(عبرانيين ٢: ١٠)

في ضوء كل ما سبق، قد تظن أن المؤمنين الجادين في سيرهم مع الله من المفترض أنهم يسعون نحو الألم والمعاناة وإن لم يجدوا ما يؤلمهم فلا مانع من ممارسة القليل من جلد الذات. لو ظننت هذا فعلاً فأنت على خطأ. الله ليس ساديًا ولا يطلب منا أن نجد لذة في إيلام أنفسنا لتكون لنا شركة عميقة معه.

كان هدف أغلب خدمة الرب يسوع الأرضية هو التخفيف من الألم لذا سنحاول العمل بالمثل للآخرين ولأنفسنا أيضًا.

"أعلى أحد بينكم مشقات فليصل. أمسرور أحد فليرتل.
أمريض أحد بينكم فليدع شيوخ الكنيسة فيصلوا عليه
ويدهنوه بزيت باسم الرب وصلاة الإيمان تشفي المريض
والرب يقيمه وإن كان قد فعل خطية تغفر له"
(يعقوب ٥: ١٣– ١٥)

استكشاف معنى الألم

لنتفق على شيء من البداية. الألم هو دائمًا نتيجة للخطية. الله لا يُسر بتألمنا وحزننا ولا حتى يريد لنا أن نختبره لكن بما أني أحمل الجينات الوراثية لأجدادي منذ بداية الخليقة فلقد ورثت عنهم أيضًا تمردهم ضد الله. لذا لا يوجد مفر من الحزن والمعاناة بين حالتي الملوثة بالخطية وحالة مَن حولي.

الألم يساعدنا على:
إدراك خطورة الخطية باختبار نتائجها.
التوحد مع المتألمين وتعزيتهم.
اختبار نعمة اللّه بطرق ما كنا سنعرفها في ظروف أخرى.
أن نكون مشابهين لصورة المسيح.

أحيانًا يتدخل الله بنعمته ليحد من ألمنا وفي أحيان أخرى يسمح للخطية، سواء خطيتي أنا أو خطية غيري، أن تقع بكامل ثقلها على أكتافنا لتطهر حياتنا وتنقيها. ربما نختبر شيئًا أقل من الحد الأقصى للألم لكن لا يمكننا توقع الأقل. لقد سبق وتأملنا في عدة آيات تقول أن الألم سيكون جزءًا من التجربة البشرية بغض النظر عن مبادئنا الشخصية أو معتقداتنا الدينية أو قوتنا البدنية أو أي عامل آخر نأمل في أن يحدث فرقًا.

لنقف قليلاً عند فكرة صغيرة وهي رغم أن الألم أمر متوقع ولا مفر منه وقد يكون له في بعض الأحيان بعض الآثار الإيجابية إلا أنه يجب التخفيف منه كلما أمكن لأقصى درجة ممكنة. كلمات

غلاطية ٦ من السهل تطبيقها:

"أيها الإخوة إن انسبق إنسان فأخذ في زلة ما فاصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة ناظرًا إلى نفسك لئلا تجرب أنت أيضًا. احملوا بعضكم أثقال بعض"

(غلاطية ٦: ١– ٢)

بما أننا كلنا نخضع لآثار الخطية في حياتنا يدعونا "بولس" لعمل ما باستطاعتنا لنخفف من آثارها السلبية على حياة إخوتنا وأخواتنا في المسيح.

كم من السهل علينا أن نزيد بدون تفكير (على الأقل أرجو أن الأمر سيتم بدون تفكير) من معاناة الآخرين في جسد المسيح بالإلقاء على مسامعهم تعليقات غير لطيفة أو مؤذية. يمكننا أن نضيف هنا القول المأثور

"إذا كنت لا تستطيع أن تقول أمرًا لطيفًا
فمن الأفضل ألا تنطق بشيء"

لكن الله لا يدعونا إلى مثل هذا المستوى المتدني بل يدعونا إلى أن نتشبه به، إلى أن نأخذ المبادرة ونتواصل مع المتألمين بكلمات وأفعال تعزيهم وتواسيهم.

أعترف أننا كثيرًا ما نشعر بالحرج أو العجز أمام آلام الآخرين. لاحظت شيئًا أثناء أزمة عائلية مررنا بها. تحيرت في أمر الأصدقاء الذين اقتربوا منا والأصدقاء الذين انسحبوا بعيدًا. البعض اقترب معلنًا خوفه أن يقول شيئًا غير مناسب قد يضيف إلى معاناتنا لكنهم أتوا على أية حال. والبعض اختاروا الحل الأسهل وهو الابتعاد. لا يمكنني أن أدين هؤلاء الأصدقاء الأحباء فلقد مررت بنفس تجربتهم مرات عديدة لذا لا أستطيع انتقادهم حتى اختبرت الشعور بالوحدة الذي

حتى اختبرت الشعور بالوحدة الذي يصطحب الألم وأدركت ضرورة الاقتراب نحو مَن يجتاز بضيقة أيًا كان نوعها

يصطحب الألم وأدركت ضرورة الاقتراب نحو مَن يجتاز بضيقة أيًا كان نوعها. من تألم من قبل يصبح أفضل شخص قادر على مواساة المجروحين لكن هذا لا يعفي الآخرين من المسئولية.

وأخيرًا لا أستطيع أن أختم هذا القسم دون أن أذكرك عزيزي القاريء بأن الله يستطيع تحويل أصعب ضيقاتنا إلى بركة لنفوسنا ومجد لاسمه. لا يوجد ألم ممتع (لو كان هناك شيء من هذا القبيل لما أسميناه "ألمًا") بل كله معاناة وأنين. لكننا سنفوت على أنفسنا الصلاح الذي يخزنه الله لنا لو أصررنا على الشعور بالأسى على ذواتنا وعلى رفض السماح لله باستخدام ألمنا ليشكل أوانينا. لن نتمكن دائمًا من فهم ما يحدث لكن لو أخضعنا قلوبنا لله حتى وسط الألم سنستفيد بطرق لا نتخيلها.

احتمالات السقوط الممكنة

يرد على ذهني الآن حالتا سقوط ترتبطان بتقبل الألم والتعامل معه بطريقة روحية راقية. الأولى هي أننا قد نصاب بالإحباط حين ندرك أنه ليس بوسعنا إصلاح كل شيء، وربما يهتز إيماننا. كل ما نستطيع عمله هو محاولة التزام الطاعة، وتحمل الأحمال وتعلم دروس عدة ومحاولة أن نمجد الله رغم أن لا شيء يسير حسب المنطق.

اللّه يستطيع تحويل أصعب ضيقاتنا إلى بركة لنفوسنا ومجد لاسمه.

وهذا يقودنا إلى الحالة الثانية وهي محاولة ربط معنى أو مغزى معين لكل موقف أليم. طرقنا وأفكارنا البشرية تختلف عن الطرق والأفكار الإلهية. ومنظورنا محدود جدًا ويقتصر على حياتنا المادية المؤقتة. الله يرى النهاية من البداية. أعط فرصة لله ليقوم بعمله كإله. لا مانع لو بعض الأمور، أو أغلبها، سارت عكس المنطق في منتصف الطريق.

كلمة مشجعة

من أكثر الأقوال المشجعة التي من الممكن أن تقال عن الألم هي أن حتى أغلب الحالات المطولة لها نهاية. وقديمًا عبر "بولس" عن ذلك بأسلوب بليغ:

"لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبديًا
ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التي ترى بل إلى التي لا ترى.
لأن التي ترى وقتية وأما التي لا ترى فأبدية"

(٢كورنثوس ٤: ١٧– ١٨)

١٨ احتفل بالأشياء الجميلة

قصة للبداية

فقدان شيء له قيمة كبيرة قد يصيب المرء باليأس، لكن الأمل في استعادته ممكن أن يبقيه حيًا حين يبدو الأمر كأن لا شيء آخر يهم.

أنا والد ابن ضال.

بعد بزوغ النهار بفترة قليلة، وكما أفعل كل يوم لشهور طويلة، صعدت إلى السطح وجذبت مقعدي نحو الجدار المنخفض وبدأت أنظر إلى الناحية التي أنظر إليها دائمًا، إلى النقطة التي اختفى عندها. رغم أني في الحقيقة لا أتوقع أن يرجع من نفس البقعة بالذات لكني أبدأ من عندها دائمًا. لا شيء في الأفق!

ثم نظرت إلى أقصى اليمين لدرجة أني رسمت بنظري في الأفق البعيد دائرة كاملة. مناظر عديدة صارت الآن كالأصدقاء القدامى: النقطة التي تتلاقى فيها الأرض مع السماء، منزل كبير مع عدة أبنية ملحقة له، بستان أشجار زيتون صغير، أرض خضراء تلعب عليها خراف صغيرة فتصيبني أحيانًا بخداع نظر، تل متناثر الصخور، قصر قديم... أسند ظهري إلى الوراء بعد أن أمسح كل هذه المشاهد بنظري وأنتهي بالتركيز على نقطة أمامي ولا أحول عيني عنها.

وأنتظر. أنتظر كل يوم. أنتظر حتى لو لم أصعد إلى السطح. اليوم سأقضي

أغلب وقتي هنا. لا شيء آخر أكثر أهمية لي. أظل مراقبًا للطريق بينما تتغير الأخيلة. ويمضي النهار فيأتي الخادم لي بوجبة صغيرة في منتصف اليوم مكونة من خبز وتمر ولبن طازج. لدي أمل كبير لكن لا أتوقع إلا القليل.

أفكار كثيرة تدور في ذهني وأنا منتظر. أتذكر ابني وهو طفل صغير وأبكي كلما أتذكره. مازلت أرى عيني "سارة" اللامعتين وهي تقدمه لي، وأسمع صدى خطواته الصغيرة، وضحكاته الطفولية البريئة، ومشاحناته مع أخيه الأكبر، وتظاهره بالعمل بجانب العمال، وثورته الفائرة وهو يقوم بنصيبه من العمل. لكني لا أرى في ذاكرتي مجرد صور من الماضي بل أرى المستقبل بوضوح. أرى ابني عائدًا، ماشيًا ببطء شديد شاعرًا بالخجل فهو كان دائمًا يكره الاعتراف بخطئه.

وبينما يقترب من أطراف حقل القمح سأكون قد تمكنت من رؤيته بكل وضوح وتأكدت أن الشخص الواقف هناك ليس مجرد عابر سبيل. وفور أن أتعرف عليه سأخرج للقائه. أحيانًا وأنا نازل درجات السلم أتظاهر بأنني رأيته وأتدرب على نزول درجتين في المرة.

كل شيء معد لعودته. حُلة أنيقة معلقة في الردهة وجميع الخدم يعرفون الغرض منها فأنا دائمًا أجهزها للضيوف المهمين. إنها أفضل حلة في البلد، مصنوعة من أفخر الأقمشة وأغلاها.

وهناك على رف معلق بالحائط حيث أحتفظ بألواح الكتابة والريشة توجد علبة بها خاتم نفيس منقوش عليه رمز العائلة: حزمة شعير ومحراث من جانب ومنجل من الجانب الآخر.

عندما يرتدي الحلة سيشعر كأنه ضيف لكن حين أضع الخاتم بأصبعه سيعرف أنه لا زال فردًا من العائلة ووقتها سيدرك أنه في بيته.

هناك عجل مسمن مربوط جاهز للوليمة. والخمر موضوع في مكانه لابد أن طعمه الآن صار لاذعًا وممزوج بالعسل والماء كأني سأقدمه للملك شخصيًا. ستُعزف الموسيقى وسنغني ونرقص ونحظى بأفضل الأوقات.

أجل، كل شيء مُعد لعودته. كل ما نحن بحاجة إليه لبدء الاحتفال هو الولد شخصيًا. لهذا صعدت على السطح أترقب رجوعه. والآن تعرفون أين تجدونني كل يوم حتى يرجع ابني للمنزل.

ما الذي نتكلم عنه؟

الاحتفال كلمة لها مفهوم واسع يرتبط بتكريم يوم ما أو شخص أو حدث أو إنجاز معين وعادة ما تصاحبه مشاعر إيجابية مثل الفرح والسرور والسعادة. الاحتفال بالنسبة للمؤمنين يعد جزءًا من العبادة. يبدأ بتأمل وتقدير شخص الله ثم يقوم بدور تذكاري لأمانة الله ويثير فينا الرجاء في بركات مستقبلية. عندما نفكر في صلاح الله في الماضي لن نستطيع أن نوقف حماسنا المتزايد تجاهه حتى يصل إلى مرحلة التعبير الخارجي مما يؤدي بي إلى تعليق واحد أخير. الاحتفال هو "أن تخرج ما بداخلك". السرور والسعادة والفرح كلها مشاعر ولابد أن تطلق لها العنان حرفيًا. إننا نحتفل لتنفيذ هذا كله.

الأساس الكتابي

فكرة الاحتفال فكرة كتابية محضة. يمكننا أن نجد أمثلة عدة من الاحتفالات الجماعية والعائلية والخاصة على صفحات الكتاب المقدس. إليك بعض الأمثلة:

نرى في عزرا ٦: ١٦ كيف احتفل بنو إسرائيل مع الكهنة واللاويين وبقية العائدين من السبي بتدشين بيت الله بفرح. ثم في سفر آخر يحمل اسمه نجد "نحميا" يعلم الشعب كيف يحتفلون:

> "قال لهم اذهبوا كلوا السمين واشربوا الحلو وابعثوا أنصبة لمن لم يعد له لأن اليوم إنما هو مقدس لسيدنا ولا تحزنوا لأن فرح الرب هو قوتكم"

(نحميا ٨: ١٠)

وإرميا النبي الحزين عادة يربط الاحتفال بالتعبيرات الصوتية أي بالترنم والكلمة المنطوقة:

"ويخرج منهم الحمد وصوت اللاعبين وأكثرهم ولا يقلون
وأعظمهم ولا يصغرون"

(إرميا ٣٠: ١٩)

في قصة الابن الضال نقرأ عن أوامر الأب للعبيد:

"فقال الأب لعبيده أخرجوا الحلة الأولى وألبسوه واجعلوا
خاتمًا في يده وحذاء في رجليه وقدموا العجل المسمن
واذبحوه فنأكل ونفرح لأن ابني هذا كان ميتًا فعاش وكان
ضالاً فوجد. فابتدأوا يفرحون"

(لوقا ١٥: ٢٢- ٢٤)

الآية الأخيرة التي سنتأملها لا تستخدم كلمة "يحتفل" لكن الفكرة واضحة فيها جدًا:

"لكل شيء زمان ولكل أمر تحت السموات وقت... للبكاء
وقت وللضحك وقت. للنوح وقت وللرقص وقت"

(جامعة ٣: ١- ٤)

صحيح أنه هناك وقت للبكاء وللنوح لكن هناك أيضًا وقت للضحك والرقص. هذا يبدو لي كاحتفال!

استكشاف معنى الاحتفال

كتب "روبرت لويس ستيفنسون" Robert Louis Stevenson، الكاتب

الأيرلندي الذي عاش من ١٨٩٤– ١٨٥٠: "لا يوجد عمل نقلل من قيمته بقدر ما نقلل من قيمة الشعور بالسعادة"[١]. شعب الله من بين كل شعوب الأرض لديه أقوى الأسباب للفرح والاحتفال.

يظن بعض المؤمنين أن الاحتفال بشيء ما يعد رفاهية مفرطة. التجمعات العائلية أو بين الأصدقاء بمناسبة الإجازات الموسمية تضم عادة وجبة طعام كبيرة يجتمع حولها الجميع. الوفرة قد تصل إلى حد الإفراط لكن ليس بالضرورة أن تتساوى الولائم مع الإفراط. لو لديك أكثر مما أنت بحاجة إليه فابحث عن مَن هو أقل حظًا منك واقتسم معه هذه الوفرة وبالتالي تزيد أفراحك وأعيادك.

لا يجب أن نسمح لمراسم أي احتفال بأن تغطي على سبب احتفالنا. يظل العيد محتفظًا بمعناه حين لا يغيب عن بالنا سبب احتفالنا به. ربما أفضل مثال لدينا هو "الاحتفال" بعشاء الرب. كثيرًا ما ينشغل الناس بممارسة الطقوس المعروفة أكثر من اهتمامهم بذكرى انتصار الرب على خطيتنا على الصليب.

الاحتفال يعلن اكتفاءنا ومسرتنا بالله. حين نحتفل بشيء ما نعترف بسلطان الله الكفاري المطلق، لهذا نستطيع أن نفرح ونشكر حتى في أسوأ الظروف. إننا نؤمن أن الله يستطيع أن يحول كل ظرف إلى وسيلة تمجد اسمه وتعمل لخيرنا. الاحتفال

الاحتفال يساعدنا على:

- إعلان اكتفائنا بالله.

- تسليم أمورنا لله إذ نتذكر سلطانه المطلق.

- التخفيف من هموم الحياة.

- تذكر مفهوم اليوبيل ورد كل شيء.

- تحطيم قيود مفهوم النجاح غير الواقعي والانتاجية المفرطة.

- التذكر بأن الله يريدنا أن نستمتع به وبالحياة التي أعطانا إياها.

- الشعور بالحيوية في كل جوانب الحياة المسيحية وإلا أصبحت حياة كئيبة ومملة.

١ html.٣٧٩٧٢/Stevenson, Robert Louis—http://www.quotationspage.com/quote

يخضع أمورنا كلها لله ويظل يذكرنا دائمًا بسلطانه المطلق ويجعلنا نتخلى عن كثير من الأمور ونسلمها ليد الله مما يساعد على التخفيف من هموم الحياة. إننا مسئولون عن كل أفعالنا وسنعطي حسابًا عنها لكن إذا سلمنا بفشل أفضل المخططات التي قد نحيكها وبعجز إمكانياتنا سنجد أن الله بجانبنا يلملم الأجزاء المتناثرة ويدفعنا إلى الأمام.

الاحتفال يعيد إلى ذاكرتنا مفهوم العهد القديم عن اليوبيل. الخلاص والحرية والاسترجاع هي سماته الأساسية وأقوى محفزات على الاحتفال. الاحتفال يحطم أيضًا قيود الانتاجية المفرطة والعمل ٢٤ ساعة سبعة أيام في الأسبوع ومفاهيم غير واقعية عن النجاح. لا يستند كل شيء علينا، إذ نستطيع أن نخصص وقتًا لله وللآخرين ولا يزال بإمكاننا تحقيق ما نتمناه في الحياة. هذه هي الطريقة الوحيدة لتعيش حياتك. تخصيص وقت للفرح والاحتفال يذكرنا بأن الله يريدنا أن نستمتع به وبالحياة التي أعطانا إياها. وأخيرًا أود أن أشير إليك بأن الاحتفال يبث الحيوية في كافة جوانب الحياة المسيحية وإلا صارت حياة كئيبة ومملة.

يظل العيد محتفظًا بمعناه حين لا يغيب عن بالنا سبب احتفالنا به.

يمكنك البدء بالبحث عن الأشياء التي تستطيع بسببها أن تسبح وتمجد الله حتى في أسوأ الظروف. تعجبت كثيرًا وأنا أستمع لصديقي "ديريج" وهو يصف تجربة سطو تعرض لها. لقد استولى اللصوص على القليل الذي كان يملكه في مخيم لاجئين في كينيا تحت تهديد السلاح. وبعدما رحلوا كان أول رد فعل لـ"ديريج" هو أن ينزل من فراشه الذي أجبروه أن يعتليه ويسجد على ركبتيه ويشكر الله على إنقاذ حياته. لم يذهب إلى جيرانه ليطلب مساعدتهم في إصلاح ما أفسده اللصوص بغرفته إلا بعد انتهائه من شكر الله على صلاحه.

يجب أن تعرف الله معرفة حقيقية لتختبر الفرح الحقيقي. وهذا يعني أن تعرفه شخصيًا وتعرف ما فعله لأجلنا وما وعدنا به. لابد أن تؤمن بالله لا ببعض النتائج المحددة سلفًا لأن من شأنها أن تصيبك بالإحباط. لكن الله لا يفعل ذلك مطلقًا. انتظر وترقب طرق الله غير المتوقعة المفاجئة المبدعة. حين تتعرف عليها اشكره وشارك سعادتك مع الآخرين. تحل بالرجاء دائمًا. عش الحياة متحليًا بالتفاؤل.

احتمالات السقوط الممكنة

أخطر احتمال هو أن يصبح الاحتفال هدفًا في حد ذاته. التعبير عن الفرح قد يتحول إلى حالة من السُكر ويأخذنا بعيدًا حتى يختفي عن نظرنا الموضوع المحتفى به. الفرح والشكر لابد أن يشيرا دائمًا إلى الله، واهب الحياة، مخلص نفوسنا، معطي كل الهبات الصالحة، ورجاء أبديتنا الوحيد. أقول هذا لا لأثبط من عزيمتكم بل لأقدم وجهة نظر في لحظة هادئة حتى لا نضل طريقنا وسط فرحنا واحتفالنا.

بالنسبة للبعض، قد يصبح الاحتفال والفرح خطرًا حين يقومون بذلك بأسلوب غير ملائم ويفقدون "مخافة الرب". لكن إذا احتفلنا بطريقة مناسبة فلن نقع في هذا الشرك لأن الاحتفال يضع الله دائمًا في مكانه الصحيح. يمكننا القول أنه قد يضمن أن تتوازن حياتنا الروحية توازنًا صحيحًا.

كلمة تحذير أخيرة: ضع في بالك أن الله لم يعينك لتحدد أو تحكم على الأسلوب الذي يحتفل أو يفرح به إخوتك وأخواتك.

كلمة مشجعة

ابدأ البحث عن أكثر الجوانب إشراقًا في الحياة بدلاً من التركيز على الأثقال والهموم التي تحيط بك.

اضحك بكل قوة، على الأقل مرة في اليوم. العمل على تنمية روح دعابة يأخذك بعيدًا في الاتجاه الصحيح.

تعلم أن تستمتع بالحياة التي أعطاها لك الله بدون أخذ الأمور بطريقة جادة أكثر من اللازم.

اقرأ رسالة "بولس" إلى أهل فيلبي بانتظام محاولاً التقاط روح الفرح الذي تتسم به.

وأخيرًا، اجتمع مع بعض الأصدقاء وهيأوا أنفسكم لتتذكروا وتفرحوا بإحسانات الله حيث يستطيع كل منكم المشاركة بحرية وحماس.

١٩ استرح

قصة للبداية

لو اكتشفت أنك كنت تحاول مرارًا وتكرارًا تشكيل حياتك لتتماشى مع مفهوم خاطيء للحق ستصاب بإحباط شديد. لو اخترت أن تعيش بالقرب من الرب يسوع فمن الأفضل أن تستعد للإصابة بالإحباط... أحيانًا كثيرة.

ظننا أننا نعرف ذلك.

ظننا أننا نعرف الله.

ظننا أننا نعرف الناموس.

ظننا أننا نعرف كيف نعمل الصواب.

ثم جاء الرب يسوع. اسمي "يعقوب". وكنت، كأحد التلاميذ المقربين للرب يسوع، أحتل المقعد الأمامي الذي يرى أشياء يتمنى الكثيرون أن يروها.

من أوائل الأشياء التي قام بها الرب بعد أن اختار تلاميذه هي تحدي الفريسيين. وذلك أثلج صدور كل اليهود المخلصين. لم نفهم أبدًا كيف تمكنوا من تتميم الناموس (أو إذا كانوا بالفعل تمموه) بل لم نقترب حتى من تطبيق الناموس كما علمونا. مجرد رؤية هؤلاء الرجال بأهداب ثيابهم الطويلة ووجوههم المتجهمة كانت تشعل فينا الرغبة بأن نعمل شيئًا مخالفًا للناموس.

كان علينا كتلاميذ المسيح أن نتعلم أن نعتاد على وجودهم لأنهم هم أيضًا قرروا أن يتبعوا المسيح لكن ليس لأنه اختارهم. وضعوا الرب يسوع تحت مراقبة دقيقة لأنه كان مصدر تهديد لنظامهم الديني والسياسي.

يوم واحد سيظل محفورًا في الذاكرة. كان يوم سبت وأخبرنا الرب بأننا سنذهب لزيارة مجمع كفرناحوم. وكان قد لعن تلك المدينة في وقت سابق بسبب عدم إيمان أهلها لذا كنا متلهفين على مشاهدة استقبالهم له.

لم نستعد جيدًا للرحلة ولم يكن لدينا شيء لنأكله. اختار الرب يسوع طريقًا مختصرًا وراء حقل قمح. لا أعرف من فعلها أولاً لكن يدًا مجهولة امتدت وقطفت بضعة سنابل قمح ثم تلتها يد أخرى... ثم يد أخرى... والرب كعادته يلتفت نحونا كل برهة ويتحدث إلينا لذلك رأى كل ما حدث لكنه لم يوبخ أحدنا على الإطلاق.

وقبل أن تمر عدة دقائق كان الكل بدأ يقطف ويأكل. كنا نتوقف خطوة، نلتقط بعض الحبوب، نفركها بأيدينا ونزيل القش بنفخة خفيفة، ثم نمضغها ونكمل سيرنا. لابد أننا كنا نشبه الغنيمات الصغيرة التي تتبع راعيها. وفجأة انعطف الرب لكن لحسن حظنا سار بنا إلى جانب آخر من الحقل مما أعطانا فرصة أخرى لنغذي أنفسنا لنستكمل بقية الرحلة.

لابد أنه كان للفريسيين جواسيس يراقبوننا لأننا ما كدنا نصل إلى نهاية الحقل حتى رأينا مجموعة من الرجال في عباءات سوداء يقتربون إلينا. البعض منا كان قد بدأ يعتاد على العيش بالقرب من الرب يسوع لذا انتابنا القلق، لكن الرب بدا عليه أنه لم يمانع وجودهم رغم شعور الكبرياء الذي سيطر عليهم.

بدأوا فورًا الهجوم على الرب لأننا كنا "نلتقط" يوم السبت. شعر بعضنا بالاستياء لأننا سببنا له مشكلة لكنه تعامل مع الموقف بدون إلقاء اللوم علينا. ذكرهم بأن "داود" وأصحابه أكلوا خبز التقدمة في بيت الله عندما شعروا

بالجوع وبأن الكهنة "دنسوا" يوم السبت وهم يؤدون عملهم. ثم قلب أفكار الجميع رأسًا على عقب بقوله: "السبت إنما جُعل للإنسان، لا الإنسان لأجل السبت".

وهذا كان كفيلاً بإخراسهم. فقد رأيناهم يتفكرون ويتشاورون في أقواله وهم يتبعوننا إلى المجمع. لقد نجح الرب في هز ثقتهم بأنفسهم ولو بصفة مؤقتة لكن كان واضحًا أنهم لم ينتهوا من أمرنا بعد.

ما الذي نتكلم عنه ؟

الراحة بمعناها الدقيق تعني الكف عن العمل، ليس بالضرورة خمول أو كسل تام رغم وجود فرصة لذلك. نتكلم كثيرًا عن الراحة والاسترخاء معًا أي القيام بأنشطة تختلف عن الأنشطة الاعتيادية التي نقوم بها لتسديد احتياجياتنا المادية. لخدمة غرضنا هنا سنشمل السكون مع اللا نشاط كجزء من الراحة التي يجب أن يسعى إليها المؤمن ويمارسها.

الأساس الكتابي

سبق ولاحظنا أن الله خصص اليوم السابع للراحة بعد قضاء ستة أيام في عمل الخليقة (تكوين ٢: ٢، ٣) لكن هناك أجزاء أخرى من كلمة الله تقدم الأساس الكتابي لراحة السبت. أحيانًا يراها البعض كهبة من الله أعطانا إياها لنستمتع بها:

"انظروا. إن الرب أعطاكم السبت لذلك هو يعطيكم في اليوم
السادس خبز يومين. اجلسوا كل واحد في مكانه.
لا يخرج أحد من مكانه في اليوم السابع.
فاستراح الشعب في اليوم السابع"

(خروج ١٦: ٢٩- ٣٠)

كان مفهوم السبت، طبقًا لناموس "موسى"، وصية لابد أن ينفذها الشعب:

"ستة أيام يعمل عمل وأما اليوم السابع ففيه سبت
عطلة محفل مقدس. عملاً ما لا تعملوا.
إنه سبت للرب في جميع مساكنكم"

(لاويين ٢٣: ٣)

ثم في عبرانيين ٤ نتعلم عن الراحة الأبدية:

"إذًا بقيت راحة لشعب الله. لأن الذي دخل راحته استراح هو
أيضًا من أعماله كما الله من أعماله"

(عبرانيين ٤: ٩- ١٠)

استكشاف معنى الراحة

ارتبط العمل بالراحة منذ قديم الأزل. تنتهي قصة الخليقة بتخصيص الله اليوم السابع للراحة. الخالق القدير لم يكن بحاجة إلى الراحة لكن بأخذه وقتًا للراحة وضع مثالاً لنا. كثير من الناس يجدون صعوبة مع الراحة. ضع في بالك أني لا أقصد النوم فحسب رغم أن الراحة تتضمن النوم. الراحة هي خمول واع وليس مجرد فقدان الوعي. حالة اليقظة العقلية وقت اللا نشاط الجسدي تتيح لنا مستوى معينًا من الراحة لا يستطيع الكثيرون الوصول إليه، فهي تخلق بيئة مناسبة للنمو الروحي إذ وقتها نعطي الاهتمام الكامل لله ولما يحاول أن يتواصل به معنا.

البعض يأخذ "السبت" بصفة رسمية لكني أعتقد أن ذلك يغير مقاصد الله بطرق رخيصة. راحة السبت، سواء كانت يومًا واحدًا في الأسبوع أو ساعة أو ساعتين في اليوم، تذكرنا بأننا لسنا من خلق العالم أو أننا لسنا المسئولين عن كل شيء في الكون أو أنه لن يتوقف شيء ما لمجرد أننا قللنا من نشاطنا لبعض

الوقت. كما أن السبت ليس مكافأة لنا على إنجاز كل أعمالنا. أصبح بإمكاننا الاسترخاء واضعين كل ثقتنا في الله لا أنفسنا لتلبية احتياجاتنا بدلاً من الشعور بالاستياء نحو قيود فرضناها على بأنفسنا تقلل من قدرتنا على الإنتاج.

لأن الله هو مَن بدأ مفهوم راحة السبت منذ بداية الخليقة فيمكنني أن أقول أنه هو مَن صممها لأنه عرف أننا سنحتاجها عندما خلقنا. أوضح الرب يسوع هذا الفرق حين قال أن السبت صُنع لأجلنا وليس العكس (مرقس ٢: ٢٧).

الراحة تساعدنا على:
- استعادة نشاطنا بعيدًا عن ضغط العمل.
- التذكرة بأن اللّه قصد وهو يخلقنا بأن نحتاج للراحة (لسنا مجرد آلات).
- تتميم مقاصد اللّه من نحونا.

الله لم يخلق الإنسان ليحفظ السبت بل قدس السبت حتى يستطيع الإنسان أن يرتاح ليحيا حياة سعيدة متوازنة. لاحظت أيضًا أن مفهوم راحة السبت يبدأ من الأصحاح الثاني من سفر التكوين ورغم أنه جاء بالناموس إلا أنه لا يستمد كل قوته من الناموس. أظن أن إهمال السبت يترتب عليه دائمًا عواقب وخيمة.

أجسامنا تذكرنا كل يوم بأننا بحاجة إلى الراحة وفي بعض الحالات القصوى يتسلل إلينا النوم دون أن ندري. من الضروري أن نتعلم أن نرتاح قبل أن تأبى أجسادنا وأذهاننا العمل.

الراحة تتيح لنا بأن نستعيد نشاطنا بعيدًا عن ضغط العمل.

احتياجنا للراحة يذكرنا بأن الله قصد لنا وهو يخلقنا بأننا نحتاج للراحة فنحن لسنا مجرد آلات. أود أن أضيف نقطة أخيرة ألا وهي أن الراحة تحقق بعض جوانب مقاصد الله من نحونا.

أتخذ جانب "الحياة المنتجة وذات الهدف" حين أقدم بعض النصائح العملية وسترى ذلك على الفور. هذه الأفكار تعكس تحديات عديدة أواجهها.

حاول تخصيص بعض الوقت كل أسبوع لممارسة نشاطات معينة لا تحقق ربحًا ماديًا أو تساعد على تسديد أقل الاحتياجات وأبسطها. لو نجحت في تنفيذ ذلك حاول توفير بعض الوقت لعمل "لا شيء". هذا أصعب من الخطوة السابقة.

لكن تذكر أن الهدف من ذلك التمرين ليس الخمول والكسل بل لتتيح لجسدك ونفسك وروحك الراحة والتعافي من الاستخدام المستمر وأحيانًا من سوء الاستخدام الذي تعرضهم له.

حالات السقوط المحتملة

هناك حالتان أمامنا. الأولى هي الكسل. قد نبرر الكسل وندعوه "راحة". يقع البعض أحيانًا في هذه التجربة المغرية. بينما يندفع البعض الآخر حتى يكاد لا يرى فيه أي إغراء. من الممكن أن نتمادى في الخطأ ونحن نمارس "راحة السبت" حتى نصير "ناموسيين" فيما يخص بعض الأعمال. ليس من الضروري حفر خنادق عميقة بينما لا تتطلب المسألة كلها إلا خطًا رفيعًا في الرمل.

كلمة تشجيع

بعض "قواعد السبت" أرسيت في زمن كانت فيه معظم الأعمال تتطلب "مشقة بدنية" وبالتالي كان بذل أي مجهود يشبه من بعيد أي مجهود جسماني يُرى على أنه خرق للسبت. لكن الزمن اختلف الآن فالكثيرون يقومون بأعمال لا تتطلب الحركة الكثيرة وتبدو ترفًا لطبقة القرن الماضي العاملة (هل الجلوس طيلة اليوم أمام مكتب للضغط على أزرار صغيرة يبدو صعبًا؟)

لكن لمن يجلس يكتب على الكمبيوتر أو الآلة الكاتبة يومًا بعد يوم سيأخذ راحته في شكل أكثر مشقة كممارسة الرياضة مثلاً أو قطع الأخشاب أو زراعة بعض النباتات.

حاول عمل ما يلزم لتنفيذ مبدأ السبت، استرح كما استراح الله. خصص وقتًا لعمل شيء لا يزيد من دخلك حتى تثبت في أعماقك أنك تؤمن بأن الله هو مصدر كل ما تحتاج إليه في الحياة. قد يوفر لك عملاً لتأخذ منه ما يكفي لتلبية احتياجاتك المادية لكن الله فيه كل الكفاية.

إليك فكرة صغيرة أخيرة:

استرح من محاولة "التحكم" في كل مَن وما يحيط بك خاصة الناس فهم يحتاجون للراحة أيضًا!

إلهنا القدير استراح من عمله ولم يشعر حتى بالإعياء. لذا ما أحوجنا نحن إلى الراحة، إلى هذا العمل الإلهي.

وأنت تتقدم إلى الأمام مع الله، لا تنس أننا بينما نستفيد من الراحة الجسدية والمعنوية فإن أكبر فائدة لنا قد تكون روحية لأن:

راحتنا تعلن وتبرهن ثقتنا وإيماننا في اللّه.

القصص الكتابية وأين نجدها

١. **الخلوة**: جدعون (قضاة ٦ ـ ٨)

٢. **السكون**: إيليا (١ ملوك ١٩)

٣. **الاعتراف**: داود (مزمور ٥١ / ٢ صموئيل ١١ ـ ١٢)

٤. **التأمل**: تيموثاوس (١ و٢ تيموثاوس وخاصة ١ تيموثاوس ٤

٥. **الخدمة**: فيبي (رومية ١٦)

٦. **الصلاة**: حزقيا (٢ملوك ١٨ ـ ٢٠، ٢أخبار الأيام ٢٨ ـ ٣٣، إشعياء ٣٦ ـ ٣٩)

٧. **الصوم**: عزرا (سفر عزرا خاصة أصحاح ٨)

٨. **العيش ببساطة**: يوحنا المعمدان (الأصحاحات الأولى من متى ومرقس)

٩. **التضحية**: أبفرودتس (رسالة فيلبي خاصة أصحاح ٢ و٤)

١٠. **الكرم**: برنابا (أعمال الرسل ٤ ـ ١٣)

١١. **كتمان الأسرار**: يوناثان (١صموئيل ١٩)

١٢. **الصراحة والمكاشفة**: ليديا (أعمال الرسل ١٦)

١٣. **الشركة**: يوحنا (إنجيله ورسالاته)

١٤. **الخضوع**: بطرس (أعمال الرسل ورسالاته)

١٥. **الدراسة**: نيقوديموس (يوحنا ٣)

١٦. **السجود**: سليمان (٢ أخبار الأيام ٣ ـ ٨)

١٧. **الألم**: بولس (٢ كورنثوس ١١)

١٨. **الاحتفال**: أبو الابن الضال (لوقا ١٥ : ١١ ـ ٣٢)

١٩. **الراحة**: يعقوب (مرقس ٢ : ٢٣ ـ ٢٨)